

# **THE BOOK WAS DRENCHED**

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL  
LIBRARY

OU\_190189

UNIVERSAL  
LIBRARY







# مجاهل افريقية

تعريب المعلم شاكر شقير

اللساني

عضو عامل في المجمع العلمي الشرقي

فضل السياحة لذة وفكاهة      ولبن نجر في العلوم فوائد  
فكأنها المرأة فيها تنصر الدنيا وانت على ساطك فاعد

طبع في بيروت بطبعة النديس جاوارجيوس سنة ١٨٨٥

مكتبة دار الكتب حبيب محمد بن عبد الحميد طبع في بيروت سنة ١٣٠٥

# القسم الاول

مقدمات اجمالية

## الفصل الاول

في حالة افريقية قبل ليفنستون

كانت امطة افريقية في الرمان الاول تطلق على قسم شمالي من القارة الحالية . وبعد اكتشافات السياح وطوابعهم حول هذا البرانسج صارت تحسب قارة عظيمة من قارات الكرة الارضية وهي احدى الثلاث الشاغلة الوجه الشرقي منها . مساحتها نحو ٢٥ مليون كيلومتر مربع . وكانت سابقاً متصلة باسيا بقطعة من الرمل فاصلة بين البحر المتوسط والبحر الاحمر يقال لها برزخ السويس والآن قد صار هذا البرزخ ترعة فصارت افريقية جريرة كبيرة يمدق بها البحر المتوسط والبحر الاحمر من الشمال والشمال العربي والاقويانوس المحيط من الشمال الشرقي والشرق وبحر الهند من الغرب والاقويانوس الكبير من الجنوب وطرفها الجنوبي هو المعروف براس الرجاء الصالح وعرفت سواحل افريقية في ازمان متسابقة واما داخلها فبقيت قروناً عديدة مجهولة لشدة حرارتها وكثرة محارفيها والاططار والمشقات المعترضة

دون من يتوغل فيها ومع ان اليونان والرومان كانوا يدخلون افريقية ويواصلون سواحلها وبعض قبائلها الداخلية مدة طويلة من الدهر لم يحطر سالم ما في داخلينها من الملاوز والصحاري الرملية والوعور والجبال والانهار ونحو ذلك مما عرفت المتأخرون

فابعد رحلة عرفت من الأثار القديمة رحلة امير بحر قرطاجني نندم على سواحل ليبيا الى ان بلغ النقطة التي زعموا انها خط السرطان . وذكر هيرودوتس رحلة فينيقية كانت تحت حماية نحو ملك مصر وان الحجة دخلوا البحر الاحمر نترعة حفرت حديثاً وبعد ثلاث سنين من مسيرهم في البحر رجعوا الى المكان الذي رحلوا منه وقد مروا باعمدة هرقليس . وتعجب هيرودوتس من امر حدث لم وهو ان الشمس كانت أولاً تطلع عن يسارهم ثم راوها في رجوعهم تطلع عن يمينهم . وهذا يدل على ان هؤلاء الفينيقيين قطعوا خط الاستواء مرتين . وسنة ١٨٢٠ اكتشف السياج قرب راس الرجاء هيكمل سفينة من خشب الارز مدفونة منذ قرون عديدة وزعموا انها سفينة فينيقية

ولا يتعجب الفارسي من ذكر هيرودوتس دخولهم البحر الاحمر نترعة حديثة المحر لان عمليه دولسيس لم تكن الوحيدة في ررخ السويس فلا قدمون كثيراً ما اجالوا افكارهم في فتح نترعة تصل بين البحر المتوسط والبحر الاحمر فعلى ما يظهر من كلام هذا المورخ ان نحو ملك مصر ففتح تلك النترعة . وعلى راي ديودورس الصقلي ان دارا الاكبر شرع بهذا العمل سنة ٤٩٠ ق . م واكمل بطليموس سنة ٢٧٧ للميلاد . وذكر بلينيوس ان النترعة كانت تصل الى البحيرات المرة والدلائل كثيرة على القول بانها كانت تنصل ايضاً بالبحر الاحمر . ولما حشرت موخراً في عهد ما هذا وجدت آثار كثيرة تدل على انها من عهد بطليموس او كليوباترة . ودخلتها السفن قديماً الى القرن السادس للمسيح بعناية الامبراطور طرابانوس والامبراطور اورليانوس الرومانيين . ثم طمرت مدة طويلة الى زمن الفتح الاسلامي ففتحها عمرو بن العاص وفتحت مفتوحة الى



زمن المنصور فطرت لسد طريق العصاة المصريين ولم تنزل مطبوعة الى هذا الزمان فتفتحها المهندس دوايسس المشهور

وكان القدماء كما قلنا لا يعرفون من افريقية الا القسم الشمالي وسائر اقسامها بقيت عامصة حتى على المتأخرين . ومذ القرن الخامس عشر اخذ السباح في التقدم على سواحلها مخاطرين بانفسهم واول من فعل ذلك البرتوغاليون فتعرفوا السواحل وواصلوا القبايل الداخلية . وكل ما عرف في ذلك الزمان من احوال افريقية بقي على ما هو الى اوائل القرن التاسع عشر الذي نحن فيه ورد على ما تقدم ان الاولين كانوا يعرفون احوال مياها الداخلية اكثر من المتأخرين الى سنة ١٨٤٠ فقد صنع البرتوغاليون كرات في القرن السادس عشر ومركاتور خارطات سنة ١٥٤١ وكذلك كورونلي سنة ١٦٨٨ وعلى جميعها رسوم بحيرات في افريقية ينفر منها النيل وفي الندفة نشرت عدة خارطات منها باسم مارين سلودو سنة ١٦٢١ وباسم فراموروس سنة ١٤٥٧ ومرتين بينهم سنة ١٤٩٢ اودياغور بيدرا الاستبيلي سنة ١٥٢٩ ودار الامسردامي سنة ١٦٧٦ وابيل سنة ١٧٤٩ يظهر منها انه منذ عهد قديم قريب من اسفار البرتوغاليين كانوا يعرفون بعض امور مقررة عن بحيرات كبيرة في واسط افريقية دعت العلماء المتأخرين من اساء هذا العصر الى الاستقراءات العظيمة . وقد ذكر بطليموس ان القطر الذي فيه ينابيع النيل يقال له ملاد القمر وهو اسمه الى اليوم وذكر ايضا ان البحيرات التي يخرج منها النيل كثيرة المستنقعات ومع ذلك كان يحهل مواقع هذه البحيرات وعددها

والرحلات التي قام بها الناس الى تلك الاقطار كثيرة منها للعرب ومنها للبرتوغاليين واول رحلة مهمة تذكر رحلة لاون الافريقي ومنها بعد ذلك رحلات كافانسي وبنسيت وروي وكولسي وذلك في القرن السابع عشر ثم رحلات كيبايون وستيورت ومكاو ودي مرشي وبوكوك ورون وابزر ونوريس وبورمان وبارو ومدزو لاسردا وذلك في القرن الثامن عشر .

وليس في رحلاتهم تقارير يركن إليها . ثم كانت رحلة ادمس وصل بها الى تمبوكتو سنة ١٨١٠ ورحلة معورك مات بها قتيلاً وهي اول رحلة تقاريرها صحيحة عما يتعلق بهر يجر ثم رحلات كلاربتون ولامي ورتشرد لندر وكالبي ثم رحلة رث الشهير ورفيقه فوجل وهما اللذان دخلا الاقطار السودانية التي يشنها الهر المذكور

واما في ساحل افريقية الشرقية فلا يعرف الا رحلة رتوعالية من سنة ١٨٠٦ الى ١٨١٠ وصلوا بها الى مصبات رميز ولم تات رحلاتهم بطائل . ثم كانت رحلة المارسل الانكليزي كرتف ورفيقه ارهت ورممان فاكتشفوا اشياء مهمة في جبال قبيلة فيليبسغارو وحصلوا من تجار العرب في تلك الاقطار افادات تتعلق بالبحيرات الكبرى اذت السباح الى قصدها سنة ١٨٤٥ رحل شاب فرسوي اسمه ميزان وسماه هو جارج من عامويو تحاء زربار قاصداً قرية حل المهرة التي تبعد عن الساحل نحو ٢٠٠ كيلومتر دهمه الحرارة وعدوه اشد العذاب وقتلوه وقد كان آملاً ان يبلغ بحيرة تشاد سنة ١٨٥٩ مضى ردشر الهامري مع قافلة من العرب وقارب بحيرة نياصا فقتل وهو ماغم

وهذا يجعل ما عرف من الرحلات الاوروبية الى الاقطار الافريقية الى الوقت الذي قام به العلامة لبستون باكتشافاته الحليلة بعد ان اقام في افريقية مدة طويلة فتاهب وترع باول رحلاته سنة ١٨٤٤ ومضى سنة ١٨٥٢ الى غرب افريقية الشمالية ووصل الى ساحل كونغو ورجع الى كيليماني على ساحل افريقية الشرقية ماراً وادي زميزر فاكتشف شلالات هذا الهر وهكذا اجتاز ر افريقية من ساحل الى ساحل . امر لم يسبقه اليه احد من الاوروبيين . فلما رأى ان مساعيه تحتم عزم على الاستغراءات الكثيرة في الاقطار السمينة فكان ينجح بواسطة سمو عقله ومعارفه الطبية . فشرع برحلته الثانية الكبرى سنة ١٨٥٨ فاستقرى بها نهر شيري الذي يلتقي برميزر واكتشف بحيرة نياصا التي يخرج منها شيري وعرف معرفة تامة التسم الاسل من زميزر . وسنة ١٨٦٥

عزم على دخول الفطر المحلول الواقع بين تنغانيا وبيافا لكي يتم استقراء  
الاولى من هاتين البحيرتين ويتعرف احوال الاقطار التي الى غربيها وتواليها  
صاعداً وراء خط الاستواء الى صقع كبير لم تكن احواله معروفة ولذلك قصي  
السبيل الاخيرة من حياته في انعام مشروعه المذكور من شهر اذار سنة ١٨٦٦  
الى شهر ايار سنة ١٨٧٢ لم يكل ولا قعد ساعة عن تنج مساعيه فعملوا همة  
واحتجاده العظيم اكتشف اكتشافات جغرافية ذات اهمية عظيمة ومهد للسباح  
سلاعية وهو الذي حرك روح التغاير في السباح بواسطة تجارة العبيد فكادت  
سبباً لتقدم العالم في عشرين سنة اكثر مما تقدم في ٢ قرناً قبله . وسيد ايضاً  
بالغ السباح في استقصاء بياعع البيل في جهات مختلفة حتى عرفت معرفة تامة

## الفصل الثاني

### في مجمل الرحلات الاخيرة

منها رحلة سبيك وبرتون قطعاً من الاوقيانوس الهندي الى بحيرة تنغانيا  
فرض برتون ونفي في فارة فضى سبيك تملاً بحسب تعريقات تجار العبيد المهمة  
فوصل الى بحيرة اوثيريوي فما قدر ان يستقر بها ومضى عازماً ان يعود اليها ثم  
رجع لاحقاً بالقيطان غرت سنة ١٨١١ لفصد البحيرة العظيمة التي يصدر منها  
النيل فوصل الى اوغندا فاحس الامبراطور متيساً الثغاة اليها فاجناروا ارضه  
وركبوا النيل الى غديوقورو . وسنة ١٨٦٢ اقيمها السائح صموئيل ناكر فانخر

الانكليز سييك قائلين انه كشف بنامع النيل  
واقام باكر بعد ذلك يستقري ضفاف النيل الاررق وهو بطارد الصيد  
على تلك الجهات وينتد تفاصيل جلية عن تلك الاقطار المتسعة التي بين ارض  
الحبشة والمهر الابيض ومضى ايضا حول جبرار الرسوي المشهور فقاتل  
الاسود وبينما هو سائر في طريق يجر مرض ومات

وسنة ١٨٦٥ كانت رحلة ليفستون لاستقراء شيري وجبوي بياضا وكان  
الرلوع (الرواوس) قبل ذلك قد معوه بتعدياتهم عن هذا الاستقراء  
ثم رحل دوشاليو واستقري اقطار كونغو الواسعة واراد ان يصل الى  
نعابينا من شاطئها العربي آتيا من خليج غينيا فلم يتوفق الى التوغل  
ومضى لوسان الرسوي حائلا نقطة ترحاله في خرطوم قاصدا بلوع  
عابون حيث خرج دوشاليو

ونقدم ايضا في تلك الاقطار الكثيرة الاحطار جبررد رواف الامامي  
قاصدا تجديد مساعي رث الماحجة واختراق البلاد الى تمكنت في خلال الصحراء  
مارا بجيرة تشاد وارض بورو

وكان البحر قد شاع في ذلك الزمان ان ليفستون مات في اثناء تجواله  
فعزمت انكليترا على ارسال جماعة للتحقيق عليه فوردت اخاره انه ساع فينجاج  
واجتهاد تم انقطع خبره مدة اربع سنوات فنهضت الحمية والهمة بالشحاع العالم  
ستابلي ومضى للكشف عن احوال ليفستون فلما وصل الى زيربيار جمع قافلة  
ونقدم في طريقه في شهر نيسان سنة ١٨٧١ واخبره طويلا لاجل لها هنا الآن.  
وفي تلك الاثناء الى سنة ١٨٨٠ رحل جماعة اخرون مثل توينرث وصوئيل  
باكر وكامرون ونخبينعال وبرانسا وبلتون وديز وفلانر وماتشي ومساري  
وسر باشتو وغيرهم

## الفصل الثالث

في امهار افرقية الكبرى

### اولاً النيل

منذ اقدم الازمنة كانت مسألة فيضان النيل تهم جميع من قطعوا على صفتيه  
ليعرفوا سببها وعرف ان اقدم المصريين كانوا يحاولون معرفة مسع هذا المهر  
العجيب فقبل ان جماعة منهم مشيت في الارض نحو شهربن الى ما فوق اليفينية  
واقامت هناك . وذكر سينكا ان الامراتور بيرون ارسل من قبله وفدًا  
يستفرون تلك الافطار فصعدوا المهر الى ان بلغوا عديرًا عظيمًا مستنقعًا لم يتيسر  
لهم سلوكه ولعله بحيرة الدوء وعلى راي المتأخرين بلغوا بلاد نيام نيام التي  
يرونها بحر العرال مع ان السياح المتأخرين منذ أكثر من عشر سنوات  
لم يكادوا يبلغونها

ولم نتقدم الى هناك رحلة مهمة قبل اللجنة التي ارسلها محمد علي باشا سنة ١٨٢٩  
الحاج قنصل فرسا ولم يصادفوا نجاحًا . ثم ارسلت لجنة اخرى تحت قيادة  
اربود وسامانبي الفرنسيين فبلغوا من العرض الى ٤٢° ٤٣° ٤٤° . ومن ثم طرقت  
الطريق التي فتحوها لكن لم يتجاوزها احد للمانع لاستطاع ازالته الى ان كانت  
سنة ١٨٤٩ فطلبت الامبراطورة صوفيا النمسية الى البابا بيوس التاسع ارسال

لجنة مبشرين فبلغوا المكان الذي قامت فيه من ثم محلة غدوقورو  
ثم سافر فودي وبعده روتو كل منهما نصفه فنصل سردانيا وصعدا  
البل وأعينهما المشقة قبل ان تجاوزا الدرجة الرابعة وكذلك حصل لاثنتين بعدها  
غير ان اندريا دونو التاجر المالطي تقدم اكثر من الجميع حتى بلغ الدرجة  
الثانية فوق خط الاستواء . ومع كل ذلك لم يكن التحاج على تقدم الى ان قام  
سبيك ورتون وقصدا الوصول الى الجبرات الكبرى التي ينشق منها النيل  
أخذين من جهة اخرى مصيا في الطريق التي يمضي بها تحار العرب من زيريار  
فلمعا بحيرة تعاليفا وكان قد اخبر بوجودها المرسل اليسوعي البرتوغالي لويس  
ماريانا في القرن السابع عشر

وسمع سبيك ورتون من تحار العرب بوجود مجموع مياه فسبح لم يكن  
بحراً واقع في الجهة الشمالية ولا تعرف حدوده وكان رتون قد مرض فتركه  
سبيك في قارة ونوجه نحو المكان المذكور وبعد مسيره ٢٥ يوماً رأى من راس  
هضبة مجموع ماء ينحى الى الشمال وكان متسعاً جداً فلم يستطع دخول هذا  
البحر والضواف فيه لسوء اخلاق الاهالي فعدل عن عزمه ادراك ومكره ان  
يعود ثانية وقد عرف انهم يسعون ذلك البحر بيارا أوقيريوي

وهذا الاكتشاف المهم حرك جمعية الجغرافية في لندن وعزمت على ارجاع  
سبيك للوقوف على هذه البحيرة العظيمة وارسلت معه القبطان غرنت وامدتها  
مال كثير . وارسلت الحكومة امراً الى فنصل حرطوم ان يتقدم في النيل الى  
غدوقورو ويأبى السائحين براد وافر وكان المسوع ان مهراً عظيماً يخرج من  
تلك البحيرة نحو الشمال ولا يكون هذا المهر الا نس النيل فاشتهر اسم السائحين  
المذكورين وانتشر الانكايز باكتشاف يسوع النيل على يدها . غير ان هذه  
المسألة التي شعلت الناس منذ ٢٥ سنة لم تحل حلاً كافياً لان الذي  
عرف مؤخراً ان النيل اصولاً كثيرة تأتي من الجنوب والشرق والمحجوب  
الغربي وتجتمع كلها لتألف مجرى النيل وكانوا كلما عرفوا واحداً من هذه الاصول

يقولون انه مسع الليل والرأي العام كان ان ما يسي هناك بالبحر الابيض هو  
الاصل الحقيقي وثبت ذلك رحلة سيلك الثانية . وكان يقال ايضاً ان ما يسي  
بالبحر الاررق هو مصدر الليل تم تحققوا ان هذين الهيرين المسميين بالبحر  
الابيض والبحر الازرق يجتمعان تحت المحرطوم عند الدرجة الخامسة عشرة من  
العرض الشمالي وقبل ان يجتازا بلاد سنار في محريين كثيرين الصغور برويان  
اكبر قسم من بلاد الحشة وهناك ينضم اليها انهر اخرى آتية من مملكة خولا  
وبلاذجة . وذكر بعض السياح ان ذلك المهر العظيم يخرج من بحيرة  
ينال لها بحيرة الروع محيطها مسير عدة ايام وموقعها الى حوبي جبال قفّة

وبعد الرحلتين التي امر بها محمد علي سنة ١٨٢٩ و ١٨٤٠ توجهت  
الافكار الى المهر العظيم الذي يشق بحيرة النوء المسماة عند العرب ببحر الغزال  
وبعد ان فتحت الطرق في تلك الاقطار لدخول تجار الامم رأى الاهالي  
انفسهم انهم آله للخدمة وغرضاً للشفاء والحسرات فقلت نفثهم بالاجاب وصار  
يصعب جداً تحلل اراضيهم لمعرفة اصل النيل الغربي لكن سنة ١٨٥٦ دخل  
تاجر ايطالي في حدود نيام نيام واطهر بعض تفاصيل عن احوال تلك القائل  
ثم مضى شوبنغرت واقام ثلث سنين بفحص اقطار باغسة الجبلية التي يخرج منها  
عدة جداول يصب منها في النيل ما هو الى جهة الشمال وفي بحيرة تشاد او  
نهر كوعو ما هو الى جهة الجنوب . وبواسطة عرف كل التلاع الجنوبي لبحر  
الغزال

وبعد ان فحص ايفنستون اقطار بحيرة تغاينا والبحيرات الجوية حسب  
انه قد عرف ببايع النيل الحقيقية وكان قد سمع من تجار العرب ان بين تغاينا  
والبحيرات الاخرى اتصالية وبعد ذلك اكتشف سيلك وغرنت وباكر  
واخيراً ستالي ان النيل يخرج من بحيرات عظيمة تتجمع اليها مياه الامطار العربية  
ومياه انهار اخرى صغيرة آتية من الجبال الجوية والشمالية  
من تلك البحيرات فكتوريا نيانزا شواطئها مخوفة بالعوج والعليق تمتد

وراءها عابات كثيفة من القصب ياوي اليها مرس الماء بكثرة والعوض يكثر هناك حتى يكون كالسحاب والقمائل المجاورة لها خسة الطباع جداً سيئة الجوار وارتفاع موقعها عن سطح البحر ١٠٩٧ متراً ومساحتها نحو ٢٤ ألف كيلومتر مربع وفي ايام الحرّ ثل مياهها بالتبخّر فتتقص نحو ٢٥ مليار متر مكعب وفيها قطع كبيرة من الارض على هيئة جرر وتشد بها الانواء بسبب المد والجزر ولها محرى تتصل به بحيرة اخرى كبيرة اسمها مونالسيخ وهي في حصيص حل اسمها جعمارا علوه ٤ متر واهله بص اعنياء وينصب الى مكتوريا نهر عنيف الحري يسي الكسندرا عرسه ١٥٠ متراً وعمقه ٤٠ وهو يجمع من ١٧ بحيرة صغيرة وهذه البحيرات يشتها كلها نهر يخرج من بحيرة اسمها الكسندرا يبارا ويصب في بحيرة ويدريمر

ومن البحيرات الكبرى ايضاً بحيرة كويا تنصب مياهها الى بحيرة اخرى كبيرة اسمها أبر يبارا حولها حمال عالية تمتد من شاطئها الجنوبي عابات طويلة عريضة من الردي

### ثانياً نيجر

كان القدماء لا يعرفون حقيقة هذا المهر وخططوا كثيراً في الكلام عليه حتى اوضح معورك ولينغ وكالبي معرفة مجاريه العليا والاخوة لندرا مانا تفاصيل كافية عن مصو سنة ١٨٣٠ وقد هلك بسبب هذا المهر كثير من السياح لصعوبة المسلك في افطاره . مهم سوني وريسون وادم وربلي وكورلي ومنغورك واندرسون وسكوت ولينغ وكالبي هولاء ماتوا بسدة المشقات . وكلارتون ورثرد وجون لندرو وغيرهم قتلوا قتلاً . وسنة ١٨٥٢ اقطع رث الصحراء وبلاد السودان ووصل الى النيجر ومن هناك اخترق البلاد وبلغ تمبكتو . ونحنا



نحوه سياح اخرون فلم يتجاوزوا سيعو لان ملكها منع توعل الاجاب في اكتشاف  
البلاد خوفاً من هودهم التجاري

ويجتمع النيجر بنهرى تلميس ولبيفة ومن ثم يسمى ذبولي ما فيصير مهابا بالنسة  
الى البلاد التي يشنها ولا سيما في تجارة فرسا لانه يابوح مهر سعال الذي  
تجري فيه السن مسافة الف كيلومتر ويجازي مجراه بحرى النيجر الاعلى على  
مسافة ٤٠٠ كيلومتر وتجري السن في النيجر مسافة ٢٠٠ كيلومتر وبهذا تسهل  
الاتصال بين سعال والسودان والصحراء . والاقطار التي يشنها النيجر خصبة  
متنوعة المحاصيل . وعرضه في قسمه الاعلى نحو ٦٠٠ متر وسيره غير عنيف  
في الصيف وعلى صفتيه مفاور رميلة ويمكن سير السن التجارية فيه هالك . وبعد  
ان يجتاز بلاد سيعو يتق سسدبع ثم يدخل مسينا ونزل تعرجائه ويجري في  
ارض مستسيلة ثم ينعطف الى الشمال الشرقي ماراً بحدود الصحراء وينته الى  
الجنوب الشرقي قبل ان يبلغ جاجو قنبل . وجاجو قصة قديمة لملكة سرحاي  
وبعد ذلك يجري في بلاد خصبة كثيرة القنائل وبعد مسافة بعيدة يصل الى  
قما فيصب اليه مهر رما ويكون واسطة الاتصال بينه وبين بحيرة تشاد بواسطة  
مدينة قامو . وبعد ذلك يصعب ركوبه لعنف مجراه والسبب شلالات بوضه .  
ومن هناك تنصب اليه عدة حداول . وبعد ان يجتاز بين حمال قونو ووليم  
يصب اليه مهر سوي . وبعد ذلك يمر بمصايق اغمي وينعطف قليلاً نحو  
الجنوب الغربي ويصب في الاتلتيك مصبات عديدة تتألف منها ارض كذلنا  
الليل . وطول مجراه عموماً ٢٥٠٠ كيلومتر

## ثالثاً كونغو

ويسمى زيري ايضاً وهو نهر عظيم اول من قصد استقراء البرتوغاليون بعد ان استولوا على المكان الذي ينصب منه الى البحر غير ان عنف جريه منعهم عن التقدم فيه . ثم تقدم بعض السياح الى وسطه وكشف بعضهم بحيرة عمدة في الداخلية . ثم دخل الايطاليون في الاقطار الداخلية التي يجري فيها وعرفوا انه يخرج من بحيرة اسها زيري وهي بحيرة مويرو التي اكتشفها ايفستون في رحلته الثانية . ومن هناك يشعب منه فرع الى الجنوب ويدخل في تلاع زمبيز ثم استقراء ستانلي استقراء حساً وعرف اقطاره

وهو نهر كبير فسيح عميق يسيو الاهالي باسماء تدل على شدة هوله عندهم كالمنلع والمفرق ونحو ذلك ويتدفق منه في الانليك كل تايبة ٥٦ الف متر مكعب وتنصب اليه عدة انهر

## رابعاً زمبيز

هذا النهر يصب في ترعة مورمينق بين ماد كسكر والبر الافريقي ومياهه عند المصب عميقة وتكثر المستنقعات على ضفتيه فتولد حميات وحشرات مهلكة وكان معروفاً منه القسم الذي بين ساحل البحر وقرية تتي وهذا القسم كان يركبه تجار العبيد واما القسم الباقي فاكتشفه ايفستون وعرف به شلالات فكتوريا العظيمة وتنصب اليه عدة انهر صغيرة ويبيض مرتين في السنة ويجري قسم منه في سهل طوله اكثر من ٢٠٠ فرسخ وقسم في ارض مستوعرة يصعب سلوكة فيها

وعرضه في بقعة منه قبل الشلالات الف متر تم بهوي في هوة عميقة فيرى بها ضباب كثيف ويتصاعد من هناك خمسة اعمدة من البحار صاعدة في السماء وتنزل على الارض كالمطر وهو منظر غريب وبعد ذلك يجري في ارض خصبة لا يقدّر. وطول مجراه ١٤٤٩ كيلومتر وكل ذلك القطر كثير الحيوانات والسات والادغال فهناك الفيل والجاموس والكركدن والعزلان بكثرة والابنوس المتنم ونحوه ونحم الحجر في طينة فسيحة من الارض ويسكن في الفائدة الى اواسط افريقية كسببة الطوبة الى اوروا والامازون الى اميركا الجنوبية

## الفصل الرابع

### بوادي افريقية

مها البادية الرملية العطية المعروفة بالصحراء ممتدة من الساحل العربي من افريقية الى الساحل الشرقي من آسيا الى من الانلنيك الى بحر يامان وتليها في خطها بادية ليبيا وبادية العرب وبوادي فارس وبلوخرستان وبحارى تم بادية قوبي الكبرى. وصحراء افريقية طولها ٤٨٠٠ كيلومتر وعرضها ٢٤٠٠ ومساحة سطحها قريب من مساحة سطح اوربا كلها. ويقال انها كانت في الزمان القديم مجراً فارتفع قعره بادفاعات طبيعية وعلا اوسطة الى ارتفاع نحو ٤٠ متر فوق افطار جبال الاطلس ويحيط بالندريج. وتحتربها كتبان كثيرة من كل وجه وفيها ايضاً جبال مستوعرة وصخور عطية وقد تترت فيها مع ذلك بقع قليلة متفرقة يسمونها الواحات فيها شيء من الماء والحصرة. ويسير

الانسان في رمالها الكثيفة وصخورها الصلبة اياماً طويلة لا يرى حيواناً ولا سائناً ولا طائراً واسعة الشمس نقيص عليها كهيب الانانين فان ثلاثة ارباع سطحها في المنطقة الحارة وتبلغ درجة الحرارة في رمالها الى الدرجة ٧٠ من الميزان المعروف بالسنتيكراد. وتهب فيها الرياح المعروفة بالسوم فتتسبف رمالها وتنفلها كالهصاب من مكان الى اخر وهي توج وتدور كتيارات البحار وعند اقتراب العاصف من النافلة تنام الابل على الارض لئلا تحملها الريح والانسان يعطي وجهه ويام في ظل بعيده او يهرب الى حب مخفور هناك اذا اتفق له لكن النجاة نادرة جداً وقد هلكت قوافل عديدة من حرارة الرياح وتراكم الرمال عليها واحياناً تكشف عنهم الرمال بريح اخرى فتطهر فبايهم الدالة على نكتهم. وكثيراً ما يحرق العبار الحياشيم والرتة فيوقف عليها والريح الحارة تحمل دقائق كربتية تفسد النية ولشدة حرارة هذه الريح وجفافها تنقص ماء النبات الذي تصادفه وتحرق الآكار التي فيها شيء من الماء والقرب المملوء ماء المعلقة في الرحال فيتلف بها الحيوان وبدل النبات وقد تأتي الاغصار بالرمال كاساطين ضخمة قائمة في الهواء تدور على قواعدها فلو صادمت عسكرياً التفت عليه كالحبة واهلكته عن اخره. والصحراء الحقيقية اوقيانوس من الرمال منقوح ودوا اواء شديدة هائلة طالما قاست مصر اخطارها الشديدة وليس لها حاجر يمنع تقدم الرمل في اقطارها الا الليل

وقد توجد في الصحراء آكار قليلة متفرقة ما دام الماء فيها ترى منازل القاطنين محدقة بها وطريق القافلة عليها فاذا صب الماء انتقل الاها الى مكان آخر وغيرت القوافل طريقها لئلا تهلك عطشاً. ومع ذلك تسقط الامطار في ايام معلومة فتحي سانات الواحات وتحيا بها الماشية. والامطار تسقط كالانهار وقد تستمر شهراً كسيول متدفقة. وكثيراً ما تهلك الناس والهاشم بسيول الجبال. فاذا طلعت الشمس تكون الرمال قد امتصت اكثر المياه والشمس تجف الباني وتكون المياه الممتصة بالرمال في جوف الارض على اعماق مختلفة

## كبيرات متسعة

ومن بوادي افرقية أيضاً صحراء ليبيا تمتد من خلف حمال طو الى وادي الليل وقد ابتلعت رمالها ابنية كثيرة قديمة في الواحات التي على جانبها . وقد حاول السياح اجتياز هذه الصحراء منذ خمسين سنة فلم يقدروا حتى اقدم عليها جبردد رولف فخرج من اسبوط سنة ١٨٧٤ بامدادات من خديوي مصر وقاسى اسد المشقات حتى وصل الى واحة يقال لها الداخلة فاراد ان يتقدم منها الى الواحة النفرة فلم يقدر ان يتغلب على قوى الطبيعة فمضى سنة ايام في رمال متوجة متخللة وقابل كئيباً ارتفاعها ٤٠٠ قدم متوقف وسمة ١٨٧٩ ركب طريقاً آخر فخرج من واحة جالو الى الجنوب الشرقي من ولاية طرابلس وبعد تسعة ايام بلغ الواحة النفرة المذكورة

ثم وصل غيره الى واحة سبوا فلم يقدر ان يتجاوزها فالواحات التي بلغ اليها السياح هي الخارجة والداخلة وفراة وسبوا وعروا عما وراءها وقد ظن الجغرافيون انه يمكن بلوغ اواسط صحراء ليبيا من جهة السودان الجنوبية

ومنها بادية قلعة حاري الى جنوبي بادية ليبيا تعد عنها خمسين درجة وهي تمتد من الاتلتيك الى الدرجة ٢٠ من الطول الشرقي ومن مهر اورنج الى بحيرة بحامي ليس فيها محرى ماء والنبات نادرة جداً لكن السات فيها كثير واهلها عديدون وفيها ادغال كثيفة من الشجر وهي سهل مسطح مستوي يكثر فيه بقر الوحش والنع الرملية فيها كثيرة متسعة الجواب واداء وقع المطر استمر الماء عدة اشهر في محاري انهر قديمة عميقة لا ترال جافة قبل المطر ولا تجري به لكن قد تنضي سنة بعد سنة ولا ينفع فيها مطر الا ما بدر جداً ويكون الهواء فيها جافاً جداً حتى لو بقي الحديد المصقول في الغراء اشهر لا يعلوه الصدأ ويذبل ورق الشجر وسائر النبات ويهلك كثير من الحيوانات الالهية وتهرب الوحشية الى اقطار اخرى الا ما كان من بقر الوحش يصبر على الماء اباماً . ويتنفل الفاطنون هناك الى الاقطار الشمالية

## الفصل الخامس

### بلاد السودان

هذه البلاد عبارة عن القطر السبخ الواقع بين الصحراء وسحبيا وسلسباني  
جبال قوحي وقوبو ومجاهل اواسط افريقية ودارفور وما على خط الاستواء من  
بلاد مصر. وقد دعاؤه لاون الافريقي يعر يسيا اي بلاد العبيد اي السود. وكان  
رث اول من اقم تلك الاقطار الخطرة فمتنع بعده بعض السباح فمهم من  
هالك ومهم من قاسى اشد العذابات مفتحيين حتى قلب تلك البلاد فافادوا  
العلم فوائد جلييلة بشاها يعرفوا ما فيها من العى والحصب وان اهلها ليسوا قبائل  
متوحشة كما كان يُظن بل اهل ممالك واسعة الاطراف عدهم مبادئ من  
التمدن والسياسة ولم تاربح وآداب وحضارة ففهمهم من بعض شعوب اوربا  
وقد اوضح فنجيغال وما نشي وساري ولنس امورا كثيرة ما يتعلق بسورق  
وباحري ووداي ودارفور

وكان السخ عمر صاحب نورو قد احس الالتفات الى سباح المانيا حين  
دخلوا بلاد فافاد اليه الملك عليهم امرا طور بروسيا الدكتور فنجيغال بهدايا  
ميسة تشكر الة على احسانه فاكرم الشيخ عمر وفادته واعانه في حوب الاقطار  
المجاورة في مدة خمس سنوات متتامة فانصل الى وداي حيث قُتل فوجل  
ونورما قبله وشق في بلاد دارفور وكانت اسماها معلقة عن اهل اوربا

واقام نخنيعال مدة في قوفا قاعدة بورنو فقرر عنها تقارير مفيدة هي  
على ما افاد واقعة على مقربة من بحيرة تشاد في وسط سهل ليس خصباً طبعاً  
غير ان الاهالي جعلوا فيه سائين حسنة حول بيوتهم وعددهم كان يبلغ ستين  
الفا على عهده وعندهم نشاط في الصناعة والاستعمال في العلوم واتصالاتهم التجارية  
كثيرة في الاقطار. وكان ملك وداي قد غرأ هذه المدينة وخرّبها فاعيد ساؤها  
منذ بيف وثلاثين سنة

ومن هناك رحل الى كانم قاعدة مملكة بورنو الاصلية موقعها على الشاطئ  
المقابل من بحيرة تشاد وبعد ما رجع الى قوفا سافر الى ناجري وهي مملكة الى  
جنوبي تشاد شرقها وداي وهي من لواحقها وكانت المحرّت بينهما منذ عدة سنوات  
وجنوبيها بلاد اهلها وتيون واما اهل ناجري فمسلمون والمملكة حديثة النشأة  
اي منذ نحو ٢٥٠ سنة. وبعد ذلك سافر الى وداي مصحوباً بوصية من الشيخ  
عمر فاقام بها تسعة اشهر وهذه البلاد مساحتها كربع فرنسا شمالها بلاد التبوع  
وغربها باجري وبينها وبين دارفور بقعة يسكنها القبائل العصاة واهلها  
لا ينجحوا زون المليون وهم عرب رعاة ومنهم من سلالة التبوع

واما دارفور فلم يعرفها قبل نخنيعال من الاوروبيين الا جورج برون  
سنة ١٧٩٢ والاقطار الاخرى كانت مجهولة فبرحلة نخنيعال عرفت اماكن  
كبيرة بين تشاد ودارفور واتصل الى العرب الاقصى من ارض السودان  
المصرية. وعرف احوال تشاد ايضاً وعرف انه كان يشقّ منها نهر اسمه بحر  
الرجال ويصبّ في بحيرة اخرى على مسافة نحو ستة كيلومترات الى الشمال  
الشرقي في بلاد بودلي واما الآن فلم يعد هذا النهر موجوداً وكذلك بحيرة  
بودلي. واكتشف ايضاً عدة بحيرات صغيرة على حدود ناجري ووداي فيظن  
انها نقايا بحر قديم

ولما رحل مانشي ومساري قطعاً افرريقية كلها في سنة وخمسة اشهر ودخلا  
دارفور عن طريق مصر العليا وعرضا على دخول وداي ورعاها بحمايته السلطان

علي الى حدود بورنو فلم يقدرا ان يدخلوها لما كان فيها من الحروب الاهلية  
فخصيا الى مملكة حوصة فوجدوها مامية عامرة بالحصارة واهلها اهل نشاط  
وحدق في الاعمال وقاعدتها مدينة قابو اهلها خمسون الفا وازقتها مستقيمة  
واسينها حسنة وفيها مدارس وتجارة وصناعة مختلفة . والمدين فيها الاسلام  
والسلام فيها والاس والاحسان الى العريب في درجة ممتازة عن سائر افريقية  
ولما رحل لنس قصد دخول تمبكتو عن طريق الصحراء فخرج من  
مراكش بصفة طبيب عثماني وحاب الصحراء بسلام ودخل تمبكتو واقام فيها مدة  
وعاد عن طريق سعال وقرر عن نجاح تمبكتو من عهد رث تقريراً حسناً  
فوجد ان اهلها راد عددهم من ١٢ الى ٢٠ الفا وصار فيها مدارس ومكاتب  
عمومية وصارت حاضرة تلك الاقطار المندوقة بها من جهة الدين والعلم والتجارة  
وبالاحمال ملاد السودان كثيرة اسباب النجاح لكن الحشونة عالة فيها  
والعلم ليس له اثر حلي والاستعباد فيها يحط مقام الاساية ومركزها بين الصحراء  
والقبائل المتوحشة في اواسط افريقية وعلى حدودها بطن مارتقائها في سلم  
الآداب والراحة





## الفصل السادس

### افريقية الجنوبية

مد اوائل القرن السادس عشر استوطن البرتغاليون ساحلي افريقية الجنوبية واستمرت تلك البلاد ايدتهم نحو ثلثمائة سنة وبالاكتفاءات الحديثة عرفت تلك الاقطار معرفة حقيقية . فكل ما هو الى الجنوب من خط الاستواء كان يظن قبلاً انه لا يستوطن لقلة ريعه واما الآن فعرف ان خصبة عجيب الا فيها بدر وفيه اثمار كثيرة تنشق سهولة وتروي اغواره والنبات هناك في اعظم نمو على اختلاف انواعه وفيه من الطيور والوحوش ما لا يقدر من اصعورها الى اكبرها والمعادن ايضا غنية ولا سيما حمى الحجر فانه على كثير من سهل الاستخراج واهم معاديه الذهب والاماس وطبيعة هذا القطر من جهة السكان والحيوانات مخالفة لطبيعة اوروبا . فالعلم مثلاً ليس له صوف بل وبر واما الناس فشعرهم صوفي مخض والرجال يرسلون شعرهم والساء يحرقنه وهن يتعاطين الفلاحة والرعاة والرجال يقفون في البيوت يعرفون ويسخون ويحلبون الماشية وهم حراً . وادا تروج الرجل يدفع لحيمة مهراً والمرأة لا يطلب منها شيء . واهل اوروبا يزعم بعضهم ان الانسان متاصل من الفرد واما اولئك فيقولون ان النفس تتصل بعد الموت الى الفرد واهل اوروبا يحسبون اولئك العبيد خشنين واما هم فيحسبون الاوروسين متوحشين

والشائع ان عقول اولئك صغيرة مع انهم حفيظة اذكى من سفلة الاوروبيين  
واللغات عندهم جميلة لطيفة الدوق بخلاف ما يقال عنهم

وكان الانكليز من جهة الجنوب والبرتغاليون من جهة العرب والشرق  
يكتفون حفيظة احوال تلك الاقطار الى ان دخلها ليستون محرّك نفوس  
السياح لاستقراءها وبذلك تمرّق ذلك المحاب القديم وبعد ذلك ذهبت لجز  
خاصة فاقامت على السواحل العربية املاً ان تصل الى الشرقية باجنبار  
اودية زمير العليا غير انهم لم يصادفوا مجاحاً لاسباب مختلفة ثم رحل سياح  
متفرقون واقاموا في جهات مختلفة من النظار الشرقي وقدموا باكتشافاتهم من  
لمبو الى رميز واشهر الرحلات التي استعملت بها تلك المجهل رحلة سرباستو  
البرتوغالي رحل من سعالا في تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ ومعه اثنان احراف  
واخذوا في طريق اقرب الى الجنوب من التي سار بها كامرون قبلهم وروا  
ارض يقال لها كوي لجة اهلها في غابة الخشونة حتى ان المرأة عندهم تباع بقبضتين  
من العرق واربع ادرع من الثياب ولما بلغوا بحد كوكدة انفصل سرباستو عن  
رفيقه فذهبا لاستقراء الامهر التي تحري الى الشمال ونصب في ربري فانما فوائد  
حمة . واما هو فجمع رهطاً ومضى به لدحول الاراضي التي تصعب فيها سلامة  
البض فلما تقدم كان الناس يستنكرون امره ويظنون انه مقدم طليعة جيش  
ات لاكتساح البلاد فمرّ منه الدين استنصهم وقد صار عددهم نحو اربعين  
ففضى اربعة اشهر في العداة والمشفات الشديدة بين الاخطار ومع ذلك لم  
يصعب عمره وحال في اقطار كانت بيد البرتغاليين وهي حتى ذلك الوقت  
غير معروفة جيداً ولم تؤثر في تمدنها مواصلات تجار العبيد فبقي اهلها على  
حشونهم العظيمة

ولما وصل سرباستو الى نجد كجيلة وحد تجارة العبيد فيها في غابة الرواج  
وكان يجتهد في تحليص جماعات كثيرة من العبيد الارقاء . وتجاور تلك المنطقة  
الى ان انتهى الى الاد الامولة وهناك امة من البرابرة يقال لهم المكصكة

يعتبرون ادني ام افريقية الحبوبية يعيشون قبائل بلاروساء احراراً كالوحوش في البلاد التي بين نهري كوشكو وكواندو ودابهم الانتقال لا ينامون ليلتين في عملة واحدة وياكلون اصول النباتات ولحم الحيوانات بلاملح ومن العجيب انهم من سلالة بيضاء بطير البيض الدبيب رأهم ستالي في حما راجارا على ضفة موتانسج . ونقدم سربانتو من هناك الى ان بلغ قرية اشند به الجوع عدها ورفاقه ايضاً فلم يمكنهم تحصيل الطعام لانتهت القرية ووصل بعدها الى بلاد لوياس فاحسن رئيسها الالتفات اليه وارسل معها قافلة الى سغالا غير ان السودان بعد ذلك وحدوا انه سبب لثلف تجارتهم فاوغروا عليه صدر الحاكم واغروا ابناءه بالفرار من خدمته ومعوا عنه الطعام وحاولوا قتله مراراً واحيراً هب ابناءه ذخيره ليلاً ورفقوا الا ان اوراقه بقيت محفوظة . وعلم بعد ذلك ان رجلاً انكليزياً أسر بامر الملك لاوصى في موضع بعد ٦ كيلومتر مضي الى هناك وتداخل مع الملك واستحصل منه بعد اطلاق الاسير قوارب ليركب نهر زمبيز وعرف كل ما يتعلق بالقسم الاعلى من ذلك النهر العظيم والانهير التي تنصل به وتحص احوال البلاد ومخاضها واخلق اهلها وما يتعلق بذلك فاخبار رحلته اصدق الاخبار من هذا القبيل

ومن الاماكن المشهورة في حبوب افريقية صنع استعمرة الانكليز وسي ترسوال اشهر قديماً بان فيه معادن ذهبية وافرة المحصول فتوجهت اليه الخواطر وقصدته السياح من كل البلاد . وفي سنة ١٨٦٧ رحل كارل موك وظاف الاقطار الواقعة الى جنوبي لمبونو المعروف بنهر التانسج فوجد آثار اشغال قديمة طمها آثار استخراج الذهب من تلك المعادن ووجد قرب تلك المناجم خرمات اشنة صخرة قديمة العهد جداً فطن البعض انها من عهد سليمان وان هناك معادن اوفير الكثيرة الذهب وذهب اخرون انها من قايامة في اول وصول البشر الى تلك الاقطار . فظهر الآن انها آثار قبائل من العرب استولى عليها البرتوغاليون في القرن السادس عشر . ولما شاع امرها

باخار كارل موك قصدها اللاس وانشئت هناك مدينتان سميتا ليدنبرج  
ومرايا فعرنا في مدة قصيرة وانتشر الاجاب الى مسافة بعيدة منها

وسنة ١٨٦٥ شاع حر نظير ما تقدم فتهافت اللاس الى ملاد يقال لها  
غريكند بين جمهورية اورنخ والجنوب الشرقي من بادية قلعة حاري . وهذه  
المقاطعة على ضفة نهر اورنخ في مساحة ١٢٨٠ منراً وهي قليلة الماء جداً وفي  
السنة المذكورة كان عدد اهلها ٢٠ ألفاً بعد ان شاع الحبر بوحود اللاس فيها  
نصاعف عدد سكانها في بضعة اشهر واخذ اللاس يشتون الارض من كل  
وجه ووجدوا بعض اشياء دعت الى تزايد اجتماع اللاس اليها

ولم يكن ما حدث امراً حديداً في ايام الحكومة الهولندية سنة ١٧٥٠  
وحدث خارطة مرسوم عليها الاماكن التي فيها اللاس فحشرت الارض كثيراً  
وحدثت اسباب تموسيت بها تلك الاعمال الى ان جددت في العهد المتاخر  
المذكور . وقد عرف ان الاهالي كانوا منذ مدة طويلة يستعملون قطع اللاس  
للتعب لا للتخلي بها فقبل كانوا يحرقون بها الارحية

وسنة ١٨٦٧ دخل احد التجار ارضاً يعملها رجل الويري اسمه يعقوب فراى  
الاولاد يلعبون بحصى شفاقة لامعة ومراً من هناك رجل بضطاء العام فانفق  
هو والتاجر على ان يتخما هذه الحصى اعلمها الماسية فحرقوا بها لوحاً من الزجاج  
وساموها واخذ احدهم واحدة منها لكي يبيعهها ويقسم ثمنها بين الرجل الويري  
ورقيقه فبلغ ثمنها ١٢٥٠٠ فريك . فشاع الحبر بسرعة الدرق وكادت الفتنة  
تضطرم في المقاطعة المذكورة وانفق ذلك في الوقت الذي فيه انخفضت اسعار  
الصوف وحدث وباء انلف البهائم

ثم وجد الاوروبيون قطعاً اخر الماسية واتى الكثرة ابصاراً فقطع كانت  
عندهم من عهد طويل وحينئذ وجد الحجر الشهير باسم كوكب امريكية الجنوبية  
اشترى اولاً من احد الكفرة بعشرة الاف فريك وبيع ثلثمائة الف فريك ثم  
بلغ ثمنه ٨٥٠ الف فريك فاشتراه اللورد ددلي وفي هذه

وكان يظن ان مصدر الالماس المهران اللذان يصران في هراورج ونهر  
وال ثم علموا ان بقعة في قلب البلاد فيها كميات وافرة وروي عن خبرها  
ما يأتي

كان رجل دروسي الاصل في بقعة من الارض يعملها قانعا بما يحصل له  
من محصولها فاتفق يوما انه راي جماعة عليهم هيئة الحناء تد اقتسموا ارضه اقتساما  
مريتا ولم يكن له اطلاع على ما جرى من اكتشاف الالماس في المهر كما مر تخاف  
منهم لانه ظن ان قصدهم اكتساح ارضه وطرده منها جميع كل ما كان له من  
الحثيف والثقل في عجلة وور في جوف الليل وهو يدب سوء حظه وبعد قليل  
اهتدوا الى مكانه وانوا يطالون امتياع ارضه فلبسة خوفا لم يشأ ان يقاتلهم حتى  
اقتسموه بالمرهان ان مرادهم احد الارض بملع برصيه وعرضوا عليه ١٢٥ الف  
فريك ذهبا فاطا طأنا قلبه واجابهم الى طلبهم فقسوا الارض انقساما مرعة وصاروا  
يخرجون فيخرج لهم الالماس مع التراب وعدل المحصول السوي ما كثر من ٢٣٧  
مليون فريك لكن كانت الصعوبة شديدة في الإقامة تلك الاراضي الثيرة  
الخالية من الماء والنبات فكان الذي عنده سر في احدي جهاتها يبيع الماء  
بتفلك وقصة تقريباً وكان يلزم استغلال الخطب من اماكن بعيدة جداً حتى ادخلت  
آلة بحارية سنة ١٨٧٥ وكان طن ثم الحجر يكلف من انكثرا الى عريكلمد  
نحو ٣٠٠٠ فريك والهواء هناك شديد التعبر والليل في اشد البرودة والهزار  
شديد الحرارة والعواصف لا تطاق لعبها والرد والرق يكونان هائلين جداً  
وكمر نائية الجو في غاية السرعة والكنزة حتى لو مرت اسان المشط في شعر  
الراس تولدت الكبر بائية وتاتي الرياح الحارة بعار كثيف كالصواب المنشر  
فيحرق الاعين والخياشيم فلا يستطيع الإقامة هناك الا الجلود الذي يساعده  
التوفيق ولذلك صار من الدور استخراج الالماس . ثم عقدت شركات عظيمة  
واتخذت وسائل مختلفة لتسهيل العمل خففت عنها المشقة من جهة لكن خائبها  
العملة من اخرى فانهم كانوا يسرقون ما يستطيعون رعباً عن التشديد في المحافظة

والصرامة في عفاف من يشعرون سرقة فليل ان معدل ما كان يسرق يومياً  
من الالماس يبلغ ٢٥ في المئة

وما يذكر في ما تجاوز عريكند الى الحوب تربية العام وذلك في مواضع  
على تخوم رية يقال لها الحوب حديثة لكن لا رمل فيها واقعة الى الجيوب من  
هر اورنج وطريقة التربية ان تؤخذ الاسي مع رتالها . تناع ماكثر من مئة  
فريك . وادا لم يجد المشتري اسى تستخدم لثقب اليبص طريقة صناعية كما  
يعملون مثلاً في بلاد مصر يبص الدجاج . وتوضع الرتال اي المراح في  
حاوية مسيجة فاذا صار عمرها ثلاث سنوات ياخذون من ريشها ما يوافق  
للخبرة فيكون محصول الريش السوي من ١٠ الى ١٥٠ فريكاً عن كل  
فرد منها وقد اتسعت هذه التجارة جداً حتى قيل ان بعض البيوت التجارية  
تصدر كل شهر عشرة آلاف كيلو من الريش

وامل تلك الاقطار العجيبة صهار متاقصان احدها آخذ في مراعي  
التمسك ويقال لهم الويرة والآخر في اقصى درجات الوحش وهم البوسماس  
اي اسان العابات لانهم يعيشون كالوحوش في الادغال والعياض

فاما البوين فمهم من سلالة المهاجرين الهولنديين قديماً حين كانت ولاية  
الراس من املاكهم فلما غلب عليها الانكليزانما من النفاء تحت سيادتهم هجروا  
بلادهم واشأوا مستعمرات ناتال واورنج وترنسوال . واصم اليهم مهاجرون  
فرنسيون طردوا من بلادهم على اثر مؤتمر فتألفوا جميعاً وتاسلوا وخرجت  
مهم احيال شداد البنية كزار الاحسام ولم يبق عندهم من الدين الا اثر قليل  
فيفضون ايامهم في الصيد على الحبل ويرعون المواشي في مراعي حصنة متسعة  
لا يمنعهم منها الوطنيون وصار من عادتهم ان يجتمعوا في الكيسة مرة في السنة  
وهذا الاجتماع ياتي اليه الناس من كل الاقطار واطراف البلاد ويستمر اسوعاً .  
ومن عادة البوين ان يجتمعوا الذهب في مازلم ولا يشتعلون به ويتوارثونه من  
احيال قديمة فقد يكون عند الواحد مبالغ حسنة يكثرها في اماكن لا يعرفها غيرهم

ولهم في الحرب قوة وحاد وحسن تدبير وكثيراً ما ضابطوا الانكليز في  
حرهم الاحيرة معهم

واما سكان الغابات فهم مودج الانسان في اول اجياله المنوحنة فانهم في  
ادنى درجة من سلم الامم ومحسوس اذية على الفئائل المخاورة لهم فلم يرل اللاس  
يطردوهم من قطر الى آخر حتى استقروا في ناحية قاحلة يباب لا ينبت فيها  
الاقليل من العوسج وهم صغار القامات نخاف الابدان حداً هيئتهم وحشية  
اقرب الى الفزود الكمار ما الى الانسان . لا لباس لهم الا ارار للقمص من  
جلد الحيوانات ينسج عورتهم وليس لهم نظام نشري ولا صناعة ولا زراعة ولا  
مواشي يعيشون من الصيد والسرقة وقد يقصون اياماً طويلة في المجاعة ويعزون  
حيرانهم تحت الاحطار ليحصلوا ما يسدون به الرقي . والقنائل التريبة منهم  
يعاملونهم معاملة وحوش مصرة فيصطادوهم صيداً ويقتلونهم بلا سب ولا  
مبالاة وكثيراً ما يستعد البويرة من يحصل يدهم منهم لان لهم مهارة في وجدان  
الحيوانات الالهية اذا ضلّت . وطريقة اسرهم انهم يرصدونهم ويخناطون بمنازلهم  
وفي اكواح خفية حداً ويظلمون المادق فيخاف المساكين لان صوت البارود  
يرعهم حداً فينفون في اماكهم لا يستطيعون الفرار فيقصون عليهم ويلاطفونهم  
اولاً ويعطونهم راداً كثيراً مختلفاً فيعترون ويمصون معهم الى الخنول وهناك  
يستخدموهم لعل الارض بالقوت الضروري

وليس لهؤلاء الوحوش عيال معروفة فلا يعرف الولد الآمه حتى اذا ترعرع  
تركها وتركته والذي يشجع منهم ويعجز لا يلتصق اليه احد فيبوت جوعاً او تنترسه  
الصواري

واسبب شناء الدواة والجوع ونحو ذلك يكادون يفرصون في المحفة  
الشرقية من مادية قلعة حاري واما الدين الى عربها فيستخدمون لشدة مهارتهم  
في سلوك العياض والادعال فيعيشون عيشة حسنة مع من يجاورهم

## الفصل السابع

### في الافريقيين عموماً

ان الاختلاف الذي بين القبائل الافريقية وعاداتهم ولعائهم ليس اقل مما بين محاصيل اراضيها المتنوعة . ويقسمون عموماً الى قسمين سود وسمر وقبائل السمر اكثر بكثير من قبائل السود الاصليين ولا يرالون بزدادون عليهم ويستعرقون معظمهم وقواهم العناية اعظم من قوى السود . والدين في عرب افريقية من السود قد دخلوا حداً لافراطهم بالمسكرات . والهئية الاجتماعية عند السمر حسنة النظام حتى ان بعض شعوب اوروا يجسبون دون بعضهم

وفي افريقية كل انواع الحكومات من جمهورية ومطلقة ومشيخة ومجلسية حتى ان عند بعضهم رتاسياسية وخاصة مبنية على نظامات اصولية حسنة المبادئ لكن هذا محصور في قسم صغير لان الافريقيين اجمالاً كالارقاء لاهل السيادة والمرأة عندهم منخطة المقام حداً تستخدم للاعمال والاحمال وتناع كائنها من اصناف التجارة ولا تعتبر زوجة حقيقية وقيمتها بكثرة اولادها . والتي لا تستخدم في الاعمال الشاقة يكون مقامها كمقام البهيمه التي يرام لحمها ولبنها وهذا بحسب اكراماً لها كما تكرم البهيمه بحسن المعاملة

لكن في بعض الاقطار السودانية مثلاً وما نواجهها تكون للمرأة سيادة خاصة



خلافاً للشعوب الأخرى حتى إن الحكم يكون بيدها في بعض الممالك فملكة  
روندة مثلاً بين مونا نسج ومكتوريا يبارا نخبها امرأة قائمة بتعاضد وسلامها  
والطامات العسكرية في إفريقية ما يستحق الذكر مع قطع النظر عن  
القنائل العربية والحشمية المعروفة أحوالها فينصى العجب من ينف على عسكرية  
بعض ممالك السودان ولا سيما مملكة أوجندة شمالي فكتوريا فقد ذكر سنالي  
تأكيد أن عسكر الامبراطور منيسا كان في بعض حروبه مولداً من ١٥ ألف  
منائل و ١٠٠ ألف بين ساء وأولاد وعبيد والمعسكر كان مشتتاً على ثلاثين  
ألف مخيم كلها بنيت ماء حسناً في ساعات قليلة يبيت فيها ٢٠٠ ألف نس

وبعض أم إفريقية تستحق الذكر الخاص لمرانته أحوالها . فالإنائل  
الفاطيين على صفاف الليل الأعلى الكثيرة المستنعات تناسب صفاتهم أحوال  
الأرض التي يعيشون فيها بهم بالسنة إلى الشر كالطيور المائية بالسنة إلى  
الطيور فطول أقامتهم في المستنعات قد صارت أرحلهم مقلحة يتكلمون بها من  
الوقوف على الأرض الوحشية ولا يعرفون كما تكون الطيور العشائية الأرحل في  
الماء . وسوقهم دقيقة طويلة ليس فيها لحم ورؤوسهم صغيرة مصعطة ورقابهم  
طويلة وينفون ساعات على رجل واحدة برصدون السمك ليصطادوه وإذا  
مشوا تكون خطاهم بطيئة متسعة لطول أرحلهم

وأما أهل أوجندة فمعكس هؤلاء مع أن المسافة بين البلدين ليست طويلة  
فانهم حيرانهم ومع ذلك فهم أهل نحاح ومعرفة وهيئات حسنة . وبحساب هؤلاء  
في جبال جبراحا قبيلة من البص انت من أويورو وتداخلهم في الأسباب  
مع القنائل المحاورة لهم اختلفت طبيعتهم وتغير لونهم بالتدرج عبر أن الاشراف  
منهم لا يتزوجون إلا من أنفسهم ولذلك قد نقوا على أصلهم . وهؤلاء القوم  
لا يحبون الحروب مما قل فتنة يلجأون إلى شواطئ الجبال بين التلوح فلا  
يستطيع أعداؤهم لحاقهم فيختفونهم لأنهم جبناء

وأقام شويغرت بينهم مدة فعرف بتدقيق أحوال الطائفة منهم المشهورة

باسم نيام نيام التي ذاعت عنها حكايات مختلفة فكان يقال ان لهم اذاناً والحق ان هذا المظهر ناتج عن زهم في الملس وذكر شوبعرت انهم اشد فطنة من السود وشعرهم غير صوفي يلفونه عنائص وهيئتهم بعيدة عن هيئة سائر جيرانهم وعيونهم كبيرة مشفوفة على شكل اللوزة وحواجبهم كثيفة وانهم مستقيم عريض مستوي في كل علوه وبذلك يفرق هؤلاء عن سائر اهل افريقية وهم مجوس الحرب والشعل والصيد ولم في ذلك حكايات . واكل لحوم البشر مشهور عندهم استدل على ذلك بكثرة المراقبة وعرف ايضا ان منهم عدداً قليلاً لا ياكلون لحم اعدائهم

وبين الدرجة الاولى والدرجة الثانية من العرض الشمالي الى جنوبي ارض نيام نيام مواطن امة يقال لها العفاء وهم صغار الاحسام جداً ولم في الحكايات والسير المتعلنة بالوسط افريقية مكان عظيم . فاداسافر الاناس في الليل الاعلى ووصل فوق غندوروقوسار في نهر حور او طاف في حوار ألبرت نيارا يقول انه رفاقه من اهل الملاد انه سيرى في ابواسط افريقية قوماً من القرم يعترضونه بخصومات شديدة . ولم في الصيد مهارة وحذق واقدام حتى يهيمون على الليل برمح بسيط كانهم يطاردون غراًلاً . فاذا دنا احداهم من الغيل يرميه سلة في عيه ثم يعمس تحت بطي ويطعمه بالرمح ويهرب بسرعة قبل ان يصل اليه خرطوم النيل وهم الذين يصدرون على الاكثر العاج الوافر الى ارض السودان المصرية . ولا يبلغ طول الواحد منهم اكثر من ذراع ونصف غير ان شوبعرت سعى سيم وهو يقيس الاحسام فوجد ان اطولهم لا يبلغ اكثر من متر ونصف ويتنحر حكام السودان ان يكون من حملة خشم جماعة من هؤلاء لتنكح باعمالهم

وبالنظر الى التركيب الطبيعي يقال ان الاسود ارتقى في الاعمال البدنية من الاوروبي الآن عسله غير قوي . واما بالنظر الى القوى العقلية فالسود في ادنى درجة بالنسبة الى البيض لانهم لا يعرفون الا الملاهي الحسنة ولا يهيمون

من الافكار الا ما نتيجته مادية وتاثيراتهم اذا حدث حادث تكون عرضية قصيرة الوقت ويوصفون سلامة الطوية وعدم التعرض للاذى في الاماكن التي لا تنسد بها طائعتهم ولا يبهيمهم تحار العبيد واذا احسن اليهم تحسن خدمتهم وتطيب انفسهم جداً ومن عوائدهم المستفجة التي تسع سجنهم وتزدرى بها اجسادهم استعمال الوشم والتخديش والقطع في بعض اعضاءهم ثم دهن رؤوسهم وابدانهم بالتراب اللرج والادهان استمراراً حتى تولد في ابدانهم الهوام بكثرة عجيبة لتراكم الاوساخ وكثيرون منهم يدخنون ابدانهم شحم ورماد لانه لا تغتسل الحشرات والخلاعة في بعض القبائل قطرية. وفي جهات النيل الاعلى يخذون اطيابهم وادهانهم من روث الفر وبول ومن الرماد ويسلمون آية اللان ونحوها سول البفر استعاضة عن الملح لعدم وجوده عندهم

والوشم والتعديش امر عام عندهم وتخرج ابدانهم بمخطوط طويلة وقب حافتي الجرح الى الخارج يورث اثرًا تحمياً فيحمي وينقون آذانهم ويكبرون بها اطرق مخالفة لطريقة هود البرازيل ويعلنون فيها ادوات مختلفة وكذلك تفعل النساء نانو من وشماهن وقد يعلنن في الشفتين قطعاً مسندبة من الخشب وكلما كانت المرأة بارعة في التبرج والغش تكون الخشبة اكبر. واحسن الحلي عندهم الفلاند. واكله لحوم البشر يقدونها من اسنان الفئلى واذا لس الانسان فلاة من اسنان من قتلهم بيده كانت قيمتها كبيرة جداً

والعاج في نلاع نهر كوهو كثير جداً ويحس الثمن لان الثمار لم يتصلوا الى تلك الافطار ويقيمون حليتهم ويعلمون منه اساور وخلاخل وادوات كثيرة لا طائل نحها. وذكر ليمستون وكامرون وسنالي عند دخولهم ارض ميامة ان نصف الكيلو من العاج كان يساوي اقل من غرش

وفي وادي زميزر وبعض نلاع كوهو الاعشار الاول للادوات النحاسية والنساء يكثرن من التحلي بها حتي يكون على الواحدة ما وزنه اربعون ليبرة. وقد يكون ثقل الطوق النحاسي وهو حلقات عديدة تلف بها العنق اكثر من ١٥

كيلا ولذلك اذا ماتت المرأة يكون اول ما يفعله زوجها انه يقطع راسها لينقى له الطوق

ومن غريب عاداتهم حمل اسنانهم ذات رؤوس حادة اما لسهولة اكلة الخضم خصمه اذا تدابوا في القتال او لسهولة مصع اللحم اليه . وعلمية ذلك تقوم بان ينام الطالب لذلك ويضع فاهه ويضع فيه خشة لينة لئلا تنكسر السن بالمعابة . ويركب العامل على صدره وياخذ سكيناً حادة جداً ويضعها على جانب السن ويصرب عليها بحجر ضرباً خفيفاً حتى تنفصل الشظية المراد نزعها من السن وتصير بالشكل المطلوب وقد يردون حواشب التواطع بحجر المرد بين كل سبعين فتصير بينهما فرجة زروية

ووجود مثل هذه العادات عند هؤلاء الناس يؤدس توحشهم والحال ان كثيرين منهم حصريون يتعاطون الزراعة نشاطاً ومنازلهم اكثر انقائاً ونشاطاً مما يرى في بعض قرى البلاد المتقدمة . وفي حوار زمينر الاعلى وكونغو الاعلى حيب لا اتصالية لهم بالاوروبيين وحدث عندهم صاعه في الماء تدل على حذق شديد

واما اطعمة اهل افريقية فتدل في الغالب على افج ذوق واخلاق خسنة واطهر مثال لذلك سكان ضفاف النيل الاعلى وكونغو . فالدنة والشلوق امتنان معروفتان بكثرة الماشية ولا يذبحون منها شيئاً للاكل بل ياكلون ما يموت منها عرض او غيره . فدايمهم الصيد فان قتل اديهم لجأوا الى اكل الجردان والصاب والحيات . وامة النخو تفعل افج من ذلك فلا ياكلون اللحم الا اذا انس وبطلون نقايا الحيوانات التي تقتربها الصواري والجوارح فيدخون اللحم اذا كان جافاً ليلين ويسهل هضمه على زعمهم . ويحجون كثيراً بمخويات كروش الفرحتى الدود الذي يتولد فيها واذا مات اسنان او قتل بصرون على جنبته حتى تصير جيفة منهرة فياكلونها . ولذلك قد يدفنون اللحم في التراب الى ان يفسد وقد يحفظون لحم السمرة مقدداً الى ايام الحاجة

هذه العادات المستهجنة الوحشية تدل على شدة اعتقادهم الخرافات وهي كثيرة عدهم تضيق دون توصيلها بطواف الدفانر واكثر حكام الداخلية يودون بقاءها في الرعية ليحفظوا بها ميزانية سيادتهم ونفوذ سلطانهم. ومن افجعها عادة اهل دهومي عند تنصيب الحاكم الجديد فانهم يذبحون له ذائخ بشرية لاعنقادات وحشية. وقبيلة بنحلة القاطنة على ضفة كوندو وهو نهر يصب في كونغو من الجنوب ومن عاداتهم ان ملكهم الحديد يعمل له ولية مولعة من ريع ثور وربع كس ومخذ انسان تسلق معاً. ثم يقطع ساقبة وهو واصع رجليه في بطن احد الاشقياء. وفي جهات البحيرات لكل قرية تجرة عظيمة تعلق بها حجاج القتلى في الحروب ومكوكهم وقد يجد المسافر في الطريق اشجاراً معتلقة بها هياكل بشرية بارجلها والروؤوس الى الاسفل. وفي اوروا بين ربري وتعاينا نفوم حفلة جنازة الملك ناعمال ليس يسمع باقطع منها فاولاً بجول محرى المهر الذي يكون في ذلك المكان وبعد ما ينشف المحرى الاول بمحرون فيه اخذوداً ويطرحون فيه عدة نساء في قيد الحياة ففي الطرف الواحد من هذا اللحد تكون امرأة دانة على يديها وركبتها لتكون مجلساً البيت وتحمل الحنة احدى ارامه وتحلس اخرى تحت رجليه وتكون الواقي كمراس وغطاء له يدهن في الحياة الا الروجة الثانية فانها تقتل قبل ان تدفن. وقد يبلغ عدد سائيه المدفونات اكثر من مئة ثم ياتون باربعين او خمسين عدداً من عبده ويدبحونهم على قبره ليرؤوا تراه بماءهم. وبعد هذا يردون المهر الى محراه

واكل لحوم البشر في افريقية عادة قديمة جداً ولا تزال سائدة فيها اكثر مما في غيرها من اقطار الارض البربرية وقد بحث الباحثون في الاسباب الداعية الى ذلك فمسيوها الى امرين الاحتياج الى الاطعمة والاعتقاد بوحدة السباح ان الاقطار التي يكثر فيها هذا الافتراس قليلة الخير وافدة الحصب ليس فيها من الحيوانات ما يسد العوز وذلك اكثره في الاقاليم الاستوائية. ووجدوا ان الذين يمارسون الحروب يحبون ان ياكلوا لحوم اعدائهم القتلى

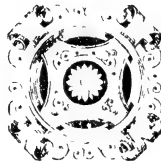
ولاسيما اذا كانوا اطفالاً موصوفين بالشجاعة والبطش لاعنفادهم ان هذه القوى  
التي كانت فيهم تنتقل الى الأكل مايتلأع لحهم . حتى انهم يذبحون الاسرى  
لاكل لحومهم ويفصدون قتل من يقدرين عليه بغير حرب . والذين يموتون  
بالامراض في قبائل كثيرة يبيعهم اقاتهم كاصاف التجارة فياكلهم المشنون  
وقد يتركوا الجيف حتى تسد كما ذكرنا آنفاً . وفي الحروب ينصفون على  
القتلى والجرحى انفضاض السور وياكلون لحهم ويشربون دمهم بشراة  
شديدة . وذكر سنك وبعده ستالي ان قبيلة على الشاطئ الشمالي العربي من  
تعايقا لا يحرثون ارضهم ولا يزرعون حبوباً ولا نقولاً مع ان التربة في غابة  
الجودة والحصب بل ياكلون الجيف ولحم البشر شيئاً واذ يرعمون ان كل الناس  
تفعل فعلهم تراهم يخافون ويهربون اذا قدم التجار بلادهم واداشعروا بان  
معهم مرصاً مقارب الموت يطلبون ان يشتروا وهذه العادة عامة عند القبائل  
المحاورة لكونعو الاعلى . وفي بلاد اوريرا راي السباح حول القرى كثيراً من  
الحاجم مصفوفة صفوفاً مرتبة تدل على ان ذلك المكان كان مكان وليمة قائمة  
لحم البشر ووجد ستالي صفاً في قرية واحدة عدده ٨٦ ججبة وطالما طارده  
الارارة ليمتدسه ورفاته وهم يصيحون اللحم اللحم وقد راوهم غيبة تهبه . ومهم  
جماعة اعينهم حداً فصاحة الذراحة فاشبهوا ان ياكلوهم وطلبوا ذلك الى السباح  
ولام ستالي قوماً لاهم قصدوا قتله او قتل رفاقه وهم لم يصروهم شيئاً فقالوا لو  
كنتم في مكانا لما تركتم لحوماً شبيهة كحومكم نفوتكم فلم يجد لذلك حواثاً وفي  
دات يوم اتته من مامه في الصباح فوجد شبكة على كل جماعة بصها الارارة  
ليلاً لئلا يتمكنوا من الهرب ويسهل عليهم قتلهم واكلهم

ومن الامم الافريقية المشهورة تاكل الناس امة يقال لها موسوطو مع انهم  
اصحاب غنول ونبون ونبامات ويستعملون الحديد والنحاس وطالما يعزون  
القبائل المحاورة لهم فيهبون المواشي ويقتلون الناس وياكلوهم وياخدون  
الاسرى الى مازلمهم ويقتسمونهم وياكلونهم عند الاقتضاء وقد يدخون اللحم

او يغلوته ويحفظونه مدة وشهد شويفرث باقامته عندهم ان هذه العادة عندهم  
كعادة اكل لحم الانسان والفر في البلاد المتقدمة . وانما يؤثرون لحم الانسان على  
لحم الحيوان اثناء على المواشي لينفعوا بمحاصيلها . وفي بلاد غريكلند كهوف كثيرة  
ملوئة من حجاج البشر وعظامهم وهناك آثار كثيرة تدل على ولائم بشرية  
حافلة كانت تقام فيها

ونجارة العميد في افريقية اشهر تجارة تحصل منها الارباح الوافرة فلا يكاد  
صنع منها يخلو من اسواقها الرائحة والعاء الاستعداد في البلاد المتقدمة لم يبيع  
نقاه في واسط افريقية وتعاطي التجارة سرًا . ولما كانت الحرية مطلقة كان  
يصدر كل سنة من سواحل افريقية نحو ٢٥ الف عبد

ولما كثر ذلك ما عاد المساكين يعتبرون الحياة بشيء ولا عاد للحرية  
عندهم قيمة وصاروا يبيعون انبياءهم واولادهم وراى ليفنستون بعضهم يبيع الولد  
من اولاده مما يساوي عشر ناراث عندنا . وبعد تردد العرب الى جهات  
منيا ما لهذه التجارة كان العمد يباع سارتين وما ذلك الا لكثرة الدواعي التي  
لا تجعل لهم قيمة كالذهب والصلب والقتل والحريق ونحو ذلك



## الفصل الثامن

### مخاطر افريقية

المجد والنبات والهم العالية ولخدمة العلم الشريف والمحبة والشهامة قد  
انصل السياح الى التناح المطبوعة من احوال افريقية محاطرين بالانفس نادلين  
مالاً لا يقدر بين الاهوال والمشتات والتهديدات ومقاومة المصاعب المختلفة .  
فلا بد ان الجمهور يشكر فصل هؤلاء الاطفال العليين ويتأسف على من فقد  
مهم شهيد المعارف

ومن المعلوم ان رحلات مثل هذه تقتضي محبرة خاصة في الجغرافية  
والطبيعات وقوة عقل وحسن تدبير واقدام على الاهوال وهوداً ادبياً ومادياً  
وهذه المرايا لا تنفق الا لافراد من عالم الفضل

واذ كان لا يسر لكل من هؤلاء الافراد استصحاب رفقة تقوم بسد  
الاحياجات الدفاعية والتعليم من المهالك الشديدة رايها بالاختيار ان  
كثيرين منهم سافروا نائمين في محاهل الارض اما واحداً واحداً او اثنين  
اتنين فالاعتماد ادى لشهامة القاصد التعصية لا بكترة وسائله المادية ومن  
اشهر هؤلاء المتحمسين احوال اواسط افريقية لينستون وورث ونخيل  
وشوينرث وكامرون وسرمانتو وسافريان دورانسا وستالي وغيرهم



ولكن لا بد لأي من كان من مادة أولية لا يستغنى عنها في مثل هذه الظروف سواء كان وحده أو مع جماعة وهذه المادة هي سيدة المواد ودولات الكون "المال" لأن اللوالم التي تظراً على السائح في العربة أكثر بكثير من التي يفتق عليها في وطنه أما لاقتناء أدوات أو لاقتناء الراد أو لأرضاء خواطر اصحاب النفوذ في تلك الاقاليم ونشر الخف والظرف بين الشعوب فكان غني أكثر مما تكفلاً لتنشيط رحالها فنالت قصص المسقى في الاكتشافات الامريكية وفارت بالافتخار في ذلك على غيرها من الامم الاوروبية

ثم ان التجارة والمال لا يبعين المخاطر ولا يبعانها فند تعرض للسائح أكثر تملكة في اول بلوغه البلاد التي قصدها قبل ان يقوم باجائه . والمخاطر في افريقية عديدة ومتنوعة . فاول كل شيء بحول دون مراعاة استنكار اهل البلاد فلا يتيسر له التحول بسهولة لان ابن افريقية لا يعرف من امر الاسفار الا مقصداً واحداً وهو التجارة والسائح الذي لا يتظاهر باسباب التجارة تلقى عليه الضمون ويرجم بالاحداق وطالما تسددت دونه الطرق بهذا السبب و تناقص الثمات ولاة الامور اليه في تلك البلاد والتاجر ايضاً تعرض له مثل هذه الامور لتخاض التنازل فاذا دخل بلداً بمنعه اهله عن تجارزه الى غيره لئلا تفوتهم فائدة تجارته او بحسروا منها شيئاً . فأدت التجارب الى ان يجنار السائح طريقته في البلاد المخصصة القائمة بها اسباب الرعاية لان اهلها لا يكون فيهم الطمع وشدة الحرص كما في الاماكن التالية الحيراث . ثم تختلف سهولة دخول السائح باحتلاف السواحل التي يدخل منها فالداخل من السواحل الشرقية يتيسر له تحال البلاد لكثرة الانهر وارتفاع الارض بحيث لا يكون لمصبات الانهر مستنقعات ولا عندها عدران راكدة . واما من جهة الساحل العربي فالارض مستنقعة ومصبات الانهر كثيرة المستنقعات والعدران تولد الامراض المحموية والوبائية وغيرها

ومن اية جهة اراد السائح الدخول ومنه من المال مبالغ حسيمة وبنقة

واسعة يجب اول كل شيء ان يستأجر جماعة وافرة من اهل البلاد لمل  
انتقاله وحرساً للذئب عن نفسه عند الاقتضاء . واذ يعلم حملة الانتقال باحتياج  
السائح اليهم يطعمون في الاحور طعماً فاحشاً وينضي اياماً يساوهم ويحاربهم اما  
اجمالاً او افراداً حتى يتفق معهم على ما يرضيهم . ثم تعرض صعوبة اخرى في تغيير  
الاسباب التي ينالونها فقد ياتي عدداً من احد اليوم نفوذاً مثلاً ويطلب عوضها  
قطناً وقد ياتي من اخذ ثوباً ويطلب بدله شريطاً معدنياً وهكذا . وقد يلتزم ان  
يسقى عليهم اموالاً كثيرة قبل ان يتم له العدد الوافي ويتيسر مسيره في الطرقات  
ويجب ان يكون معه من الضائع ما يمين قماش وماعون ومتاع وادوات ما  
يناسب ويكفي كل بلد بدخلة للمفاضة والهبات وغير ذلك . ففي هذا البلد  
مثلاً تروج الثياب الرقراء وفي الآخر الثياب المخططة وفي ذاك المفوشة وفي  
غيره يرى ان عشرين دراعماً من السج لا تساوي قطعة من سلك معدني وفي  
سواه ينصلون الحديد على اللآلئ وبعضهم يؤثرون الحردة على نفائس  
الملابس وبعض الثمائل لا ترى في مقام المسكرات شيئاً من الخف المصبوغة

واللؤلؤ مطلوب اكثر من غيره لكن لا يرصاه الواحد بالشكل واللؤلؤ  
والهيئة التي يحجم بها الآخر فالبعض يظلمون ان يكون مطبوعاً عفوداً والبعض  
اساور وهولاء ينصلون الايص ولا قيمة عندهم للسواه وغيرهم يجنارون الاحمر  
وهولاء يرغبون في اللآلئ المستديرة واولئك في المستطيلة وهلم جراً فليتنصور  
الفاريء كم من الصناديق والرزم يجب ان يستصحب السائح وكم من الناس  
يستلمر لفل هذه الانتقال اذ لا يحملون على الدواب الاحمال نادراً والرجل  
لا يحمل اكثر من عشرين رطلاً عادة وعلى هذا لا يكفي السائح اقل من ٢٠٠  
رجل يكونون معه في كل طريق يمر به ومشاربهم مختلفة فلا يسهل عليه ان  
يرضيه

وفصلاً عما تقدم يجب ان يكون معه ذخيرة كافية من راد وخيام ونحو  
ذلك فقد يتفق انه يصل الى مكان لا يجد فيه شيئاً من الطعام ولا الصيد وقد

يصل الى محلة لا يسعون بها راداً الا مصاعاة توافقهم فان اتفق خلوه منها مات هو ورفاقه جوعاً . وفي بلاد السودان يكون الامر اقبح من جهة اختلاف مشاربهم في انواع الصنائع لكن توحيد واسطة يمكن اتحاذها لارضائهم واتباع الزاد منهم وذلك اهم يتعاملون بنوع من الصدف يقال له كوري وتريد قيمته كلما تقدمت في الداخلية وهذا الصدف يوتى به من سواحل زنجبار وآسيا ويصل الى دهومي ومنها يتوزع في داخلية البلاد والاكليز يجمعون منه كميات وافرة من سغالا وقيته هناك عشر قيمته في اواسط افريقية ففي السواحل ينطرونه قلائد كل قلادة مائة صدقة واما في الداخلية فيعدونه واحدة واحدة وكل ٢٥٠ صدقة تساوي قيمة فريك . والجمل يحمل منها في الداخلية مائة الف صدقة واذا جمع الرجل بضاعة واستوفى لوارثه وكان الفصل التادم عليه لا يوافق لدخول تلك البلاد وقد يقيم اياماً مقاسياً العذاب من المحامات رفاقه وقد يضطرونه الى السفر بالنف حيلة فيدهم وصل الشتاء ويناسي من شدة الامطار وترايد المستنعات اموالاً شديدة وقد يهلك هو وكل رفاقه فعليه ان يجتهد في ادارة حمايته الى ان ياتي الوقت المناسب ولذلك توقفت رحلات كثيرة عدة اشهر لا تستطيع السفر . وكثيراً ما عدل السائح عن الرحيل في السواحل العربية لقلّة وجود الخيول بعد ان يسعى في جمعهم مدة سنتين . وقد يتفق ان هؤلاء الحائنين يصلون معه الى داخلية البلاد ويتركونه لاسباب مختلفة وهناك الويل

واعظم سبب لترك رفاقه اياه مداخلة وكلاء التجارة والتجار الذين مصلحةهم في البلاد التي يدخلها فيأتون سرّاً ويعرّون الحائلين او يبدعونهم ويخونونهم من اخطار الطريق ويوسوسون اليهم بكل مكر فيصعب السائح وليس عنده احد فاذا لم يتيسر له جمع غيرهم يضطّر ان يترك حاساً كبيراً من بضائعه ولا يتق ان يودعه احد الا الى لئلا يهبه فليس ثم الا وسيلة واحدة ليكفي شرهم وهو ان يحرق ما لا يقدر على نقله

واحكاماً يمتاز المسافر مسافة طويلة من الطريق وسراحة وطأة تيمة تم تعرض  
الصعوبات فجأة فتسقط عليه سوايا الاهالي ويطعمون في بساتينه والروضاء  
يتمسسون امتعته وبعد ان ياخذوا شيئاً كثيراً من هباته يطعمون اكثر منها  
ويستعملون اهمية ما معه فينأمررون عليه ويدسرون على قتله وقتل كل ابيص  
معه وينتهون الصناعة . فيلنزم ان يستصحب رجالاً أولي ناس وشدة يحمونه  
عند الاقتضاء وينفقون له الطريق في الثمائل الحماوية ولذلك اتخذ ستالي في  
رحلته الثمانية ثلثمائة رجل كلهم بالساق

وليس الناس فقط يعملون دور مرام السباح بل قد يلاقي الصعوبة والشدة  
من الاقليم والارض التي يمر فيها فان اختار فصل الامطار في الاماكن  
الاستوائية عنيفة جداً . وغياض الاراضي الحصنة الشديدة النمو ذات مخاطر  
اشد من مخاطر الصحراء الرملية والتمار الجرداء والعنوبات السمية المحببة الفائلة  
تكون دائماً كامنة في تلك العياض المنعفة تولد من ثفايا السمات والمحبات  
وتشرها حرارة الشمس وتعمل الرياح تنمها الى اماكن بعيدة فتقتل من نصيبه  
والصعوبة ايضاً في اختيار تلك السمات الكثيفة الملتمة المعترضة في الطرق وفي  
اختيار العايات الطويلة الشديدة البرد تم التعرض بعدها لحرارة النار الشديدة  
التي تاتي بامراض قتالة . وقوة الرطوبة هناك ما لا يحظر على النال فاجها تنلف  
كل جسم تعرض الحديد وتسرع العفونة والفساد في الحطب والخشب وترخي  
جاد الحبال المسلوخ حتى يصير هلامياً وتترج من الدارود وهو في خوف  
المنذرية قوة الاصجار والحصنة تفسد تحت مياه الاهطار الراكدة . فالويل لمن  
يدهم فصل المطر وهو في الطريق فقد يمتطر ان يمضي في المياء والمنافع عدة  
اسابيع والماء او الوحل الى ركنيه ووسطه اصصاً كما حصل للينستون ودهم  
الموت قبل استدراك المرض . وفي تلك الظروف تشتد الحميات وتنتشر الاوثة  
ولا تفي ولا تدرو قد تصل القافلة الى قرية يخاف اهبا العدوى ويطردونهم  
فدري حشهم متورة على طريقهم

وفوق هذه الصربات والمصائب توجد احوال اخرى ليست اقل اذى  
فان تلك الاقطار الاستوائية تنبض بحشرات قتالة ينهي منها المسافرين امر  
العذابات . فعلى شواطئ تشاد ومكتوريا وتغانيا يكون العوض محيماً كالعيم  
المنشر فيمنع الدبو منها . وفي اماكن اخرى يوجد النمل الابيض الذي لا تدفع  
هجماته قوة بشرية ويتلف كل ما يصادفه من طعام ولباس وادوات خيام  
ومصانع ونحو ذلك

وفي افريقية الجنوبية ضربان عظيمتان الجراد والدابة المعروفة بالصيصى  
والجراد يجرى كل ارض يربها كما يفعل في اقطار السودان وجمال الاطلس .  
فقد يصيب المسافرين والجو صاف والرياح راكدة فيرى في الافق غيمة كثيفة سوداء  
مستديرة شائعة مسافة عظيمة من الجو فتندم شيئاً فشيئاً ثم يسمع منها صوتاً  
كاللعل الخارج من حليته لكن اتد كثيراً ثم تقترب فيرى الوقار ورياحات من  
افرادها تلعو وتسفل في تلك الغيمة المملئة . هذا هو رجل الجراد الهائل الذي  
يفر امام اصناف من الطيور وفي لا تدعه حتى تلتفه او يتمدد وتعي آثاره . فهو ربه  
في بلاد تسي والارض مكسوة بالحصاة وتضع والارض جرداء كأن لا عهد  
للحصاة بها . واداسقط على الارض يكون كساق سمكة اربع اقدام وطوله ٧٥  
كيلومتراً وعرضه بالمست . واما سقوطه يكون بركود الرياح والويل للارض  
التي يجل فيها . فتاتي جوارح الطيور وكواسر الوحش والحيات المختلفة تلتهم من  
تلك الوبئة الحافلة والملس ايضا هناك تملأ سلالاً كثيرة من صغار الجراد  
ويذحروها مؤنة ويستمر مرور هذه العيوم الكثيفة ساعات متوالية لا يسمعها  
ماء ولا نار وقد تقطع الانهار الكبيرة على حصور معقودة من تحت الطوائف  
المتندمة بعد ان يهلك بالماء وتطفو على وجهه الى مسافة بعيدة . واذا عرضت  
لها الدار اطفالها بشدة تراكمها حتى تسد عنها منافذ الهواء

فاذا طلعت الشمس وجميت اجتمعها قامت كلها ففجعت الشمس واعادت  
النهار ايلاً وحفيف اجتمعها بصم الآذان فتنتقل الى بقعة اخرى وتعمل ما فعلت

بالاولى ابي نصير اخصيها احديها

واما الذمات المسماة صيصى فتوجد على الطريق بين بلاد الراس وحوبي  
زمير فتكون هذه الذمات الضريرة الاليمة للقافلة . والانتقال هناك تجل على  
الجمال وفي عجالات ضخمة يستخدمها الانكليز يصعون فيها الفراش والصنائع  
والصيد ويلبونها محلود حتى لا بدخل العجلة شي وبجر الواحدة نحو ثلاثين تورا  
ويحسب العجلات في غالب الاحوال رجال على الخيل فالذمات المذكورة  
لا تعرض للاسنان لكنها تودي الخيل والفر والابل فتاتي البهيمة وليس لها طين  
وتنقص عليها وتنشثها بحرطومها الهاد فتحرق الجلد وتنقص الدم . فيجئنا  
الحويان بامرهم ويدور ويطنر ويتبرع وينب من مكان الى آخر وهو يتلوى  
ويتنقص ثم يتلاشى ويسقط وقد سرى السم في بدنه وبعد هبة يموت

ووجود هذه الذمات على محاري المياه للوقاية من اديتها لا تنفي القافلة  
قرب الانهر ولا تورّد الحيوانات للشراب الا بعد العباب لانها حينئذ تكون  
قد ماتت وكنت اداها . وتكثر في بعض النواحي حتى يجتاح الناس ان يتحولوا  
عن الطريق الى مسافة بعيدة جداً ويدورون من غير جهة حتى رجعوا الى  
طريقهم

واذا فاز المسافر بالحاجة من كل هذه الاخطار فعليه ان يتحضر حضراً  
آخر وهو ررض عضال دوري يتأتى عن كثرة مشقات الطريق والخوف .  
الشديدة وتعبيرات الوصول وتقلبات احوال الجو واختلاف الاراضي ونحو  
ذلك . فيرجع الى بلاده وقد امل الظفر واستقبل الراحة في الطريق احبباً  
يصيبه هذا المرض وفي راحته يلقى شفاءه . وقل من يجام الاوروبيين يرجع  
سليم ويجا من هذه الاخطار نجا تامه

وهذا كله حثاً بالعلم ونشر المعارف الحديثة بين اهل المعارف وليعتبر ألو  
الصائر

## القسم الثاني

### رحلات مفصلة

## الباب الأول

### رحلة روتى اريكور الفرسوي

## الفصل الاول

ناحرى - بلاد عادل - صالح ملك توى . مكة توى

في ٢٢ ساط سنة ١٨٢٩ اخرج روتى من القاهرة الى السويس ليدخل  
البحر الاحمر وبلغ الولايات الجنوبية من بلاد الحبشة ومن هناك يذهب تحت  
حماية احد ولاه البلاد الى مجاهل افريقية الداخلية . فركب البحر من السويس  
الى جدة ومنها الى محاورها على ساحل بلاد العرب . ومن محاورها الى ناحرى  
وهي على الساحل الشرقي من افريقية . هذه هي الطريق التي اختارها - في ثلاثة  
اشهر وكان وصوله الى ناحرى في ٢ حزيران وهي مركز استعداد للسفر  
الداخلي

وناحرى قرية صغيرة في بلاد اكثرها قفر قاحل ساحلها رملي ايض

قائمة عليها اكواخ القرية الواحد وراء الآخر . وفي وسط البلاد الجبال الشاخنة الصخرية عليها الآثار البركانية ممتدة من الجنوب الى الشمال وليس على سفوحها شيء اخضر . والبلاد بالاحمال خالية من الررع والشجر الاماندر  
قال روتى وهذا بحر من السائح ويضعف عزمه كانه يرى من مظر هذه البلاد الكئيبة طليعة الاقطار العارم على دخولها ووائل الاخطار المزمعة ان تتراكم عليه في الداخلية

وأدخل روتى على شيخ هذه القرية واطلعه على قصده فالتزم ان ينم فيها عدة اسابيع ووصفها وصفاً مدققاً . فقال عدد اكواخها نحو ٢٠٠ شكلها اسطوانى قائمة على اوتاد معروسة في الرمل ومعداة باعصاب يابسة . واهلها مسلمون يتعاطون التجارة بالمناياصة بين جنوب المحسة وبلاد العرب ويصنعون القوافل ولهم مهارة في الكسب لنعودهم من الصعر ركوب الاخطار ومواصلة التجارة . وطعامهم الدرة واللبن ويستعملون السعوط عوض النع ويلبسون جبة قطبية تحمها رداء يشدونه ، مغطاة بعلقون بها سكباً او حجرأ و يرسلون شعرهم ويصعرونه وشعر النساء وافر جداً طويل يتجاوز الكعخ ويلبس دراعات من النطن . واصل هؤلاء النوم من تيلة ينال لهم الدماقة مواظهم بلاد عادل الى حصيص حال شوى وهم عشائر واساط مختلفة

ولما خرج روتى من ناجرى استصعب واحداً من الدماقة واحداً من اهل القرية للخط والاهتداء واخذ في طريق سوى ولم يصادف شيئاً يستوقف الطر لان الحر والقوة سائدان في ساحل بلاد عادل الجبلى البركاني الاصل . والجبال كلها معتدلة الارتفاع متساوية القم ليس فيها ما يختلف به المطر وتنبص الشمس نهارة حرارتها على تلك الهصاب والمفاوز فتعزدها من كل عرق اخضر والمسافر لا يطبق سدة توهجها اذا كان غير متعود ركوب متونها

وكان شروع روتى في هذا السفر في اواخر فصل الشتاء فانطق له مصادفة زوايع وامطار شديدة فتوقف عن المسير فقال في وصف ذلك « تحدث



« كل يوم زوايع شديدة في اول الليل وتستمر ساعتين فلا يستطيع المسافر ان  
 « يتقي المطر فكنت اخلع ثيابي والها واسترها جهدي حتى لا تنال والجأ الى  
 « بطون الصحور الشامخة وابيت فيها طول الليل على حلد ثم اخذته من ناحري  
 « وانعطى بحلد آخر لا يلبث ان يتصل لوصول الامطار اليّ بعصف الرياح  
 « وحرى السيول حولي بعصف التي من ترسات الهوان . فاننى ساعة او ساعتين  
 « متعتاً بهذا الحال ثم تنفث العيوم ويصفو الجو وتبلى الكواكب سهاها في القبة  
 « الرقفاً وتكون رودة الليل في شدتها مقابلة لحرارة النهار الانوية »

وبعد ان تجاور روتى قرية الكسيتا ترى بحيرة ملحة كبيرة محيطها نحو ٨  
 كيلو متراً بكثر تجمعاتها ويزداد يوماً حتى كان الملح عليها طينة تغطي عليها  
 الجبال الى مسافة بعيدة من الشاطئ واهل البلاد ياخذون كميات وافرة من  
 هذا الملح ويحملونه الى الجهات وهو اهم اصناف تجارتهم

وبعد ان احترار بلاد عادل وصل الى قرية تيانو وهي اول حدود مملكة  
 شوى وقد انتقل من ارض جرداء قاحلة الى اودية الحشنة المصرة الشجر الكبرية  
 الحصب . قال اول ما قابلت القرية في راس هضبة حصراء تحف بها الاتجار  
 رايت المنارل مجتمعة بنظام لا تظهر الا سطوحها المخروطية من خلال الاتجار  
 الملتفة ووراء هذه الهضبة سلسلة جبال معترصة من الجنوب الى الشمال  
 مولفة من هضاب ترتفع مندرجة الى مسافة بعيدة وكلها مكسوة بالاخشار تنبع  
 الانطار وترتاح اليها الدفوس

والاراضي التي دخلها آهلة عامرة كثيرة الررع والساتين سابعة الطلال حسنة  
 الربيع قد ساعدت بها يد الانسان يد الطبيعة حتى فاصت خيراتها وعم سائها  
 فهناك الاشجار المثمرة والرروع المختلفة بين حطة واطربل ودره وحمص وفول  
 وكنان وقطن وقصب سكر بلع كبراً عجيباً . وعلى حوانب الطرقات العوصح  
 والعليق المشتمك وبين ذلك الياسمين والورد وغيرها من الازهار ومن الاتجار  
 اللطيفة انواع السنط وتجرة النفل المشرفة الاغصان كانتها مخروط منقلب

نخل ثمرًا احمر واصفر يكون عما قيد كحب اللؤلؤ واما الطيور الكثيرة  
الاصناف الزاهية الالوان فهي ما لا يدخل تحت المحصر نظرت الاسماع باختلاف  
الكانها وتسرت الانصار بها الالوانها

ولما دخل روتى مملكة شوى كان الملك فيها رحلاً يقال له صالح من سلالة  
ملوك برعمون انهم من سل سليمان الحكيم . بكرم العريب بحب الدخايل مع  
الاجانب ويخمد في شر التدس في بلاده . وكان وقوراً مهيباً في عيون رعيته  
واعقل ملك تولى سريراً في ارض الحشمة . قال روتى ان عمره كان ٤٥ سنة  
وهو معتدل القوام حسن الهيئة لطيف الطبع دهمت احدى عينيه على اثر رمد  
حاد وتشعره اسود كثيف مصور نظام بلس حمة من قطن بضاء مطارة  
مخطوط حمر

وكان عند وصول روتى مقبلاً في اعولولو حاصره الجديدة فارسل اليه  
رسولاً يدعو اليه في الحال فدخل عليه في ٤ تشرين الاول محموقاً بالخواص  
والحشم فوحده حالساً على سرير وحواله ثلثمائة رجل بايديهم المشاعل قائمين  
بوقار ونظام حسن . فسأل روتى عن مقاصده من هذه السباحة واستنص  
الحمر عن النور والصناعة في اوروبا ثم صرفه وقد رآه مصنعاً من النعب  
قال روتى دخلت الدار يتقدمني ثمانية رجال بالمشاعل فادخلوني بيتاً  
مسيحاً يشبه البيت الذي فيه الملك ارضه مبروشة بالعشب العص وفي حدائه  
معلقة تروس مصبوعة من حلد ورس الهر ومربية بالقصة قطر الواحد ٢  
اقدام وفي وسط البيت مائدة مصبوعة من اعصان الخلاف ارتفاعها قدمان  
عليها خمسة صحون فيها اللوان من اللحم والبانان فيها غسل من احوذ ما يكون  
وسلة فيها موز تنتشر منه رائحة ذكية والبانان فيها الحلاب اي ماء العسل  
ووعاء فيه الحنز ودعيت الى الاكل فجلست واكملت ما تيسر فوجدت نابل  
الطعام كثيراً جداً حتى احترق حلقى من حرارة الانازير فاكثرت من العسل  
والمر . ثم رايت في حاسب البيت كانوا من حديد مطروق فيه البحر يستخدم

## الطبخ والاستدفاء

وكان الرجال الثمينة المشاعلية واقفين حول المائدة والمשלعل يصع من قطعة سمج قطعي معوسة بذوب الشع ولملوفة على نفسها حتى تصير في عاظم البد فيكون نورها عظيماً جداً فكان البيت مائتها بالانوار ولما ان الهصة التي على الثروس فشعرت حينئذ بانسساط نفس واستراح صدر وتحدد عزم وهمة نسبت بها المشقة التي قصبتها واستسهلت المصاعب التي صادفها في رحلتي هذه لان راحة ساعه في مثل هذه الظروف وهذه الملاد الطيبة تسي الاسان كل هم وتعب وتهوّن عليه ركوب الاخطار

وتالي يوم دعا الملك روثي وجلس له جلسة طويلة سألها فيها بتفصيل عن صاغة الاسلحة والمارود والنياب المستعملة في اوروا ونظام حكومة فرنسا ونحو ذلك. وقدم له روثي بصع صادق ومطمحة البارود فانتفع جداً وانعم عليه بمجمل كريمة وجماعة لخدمته وما عاد يفارقه ساعة

وبعد ايام بيما كان العيلة يستعملون بالحطب اللازم لمطخمة البارود مخرج في صمعة الملك للتحويل في انحاء المملكة فرأى له قوة عسكرية عظيمة وكان يقوم بتدبير الامور احسن قيام وكل يوم مساء يصع وليمة حافلة ( ذلك في الايام التي كان بها يتاهب للرحيل ) فتوضع الاطعمة على مائدتين كبيرتين من اغصان الخلاف توضعان في بيت كبير وتعمل عليها سعة اوعية صمعة مملوءة باللوان من اللحم . ومعها كميات كبيرة من خبز الملة بعضه من دقيق الحنطة وبعضه من دقيق حب الاطريل ترصف بين النضاع كالاساطين وفي بعض النضاع قطع كبيرة من لحم الفر معها مرق فاتر يتبل بدقيق الفلفل وفي بعضها سرائح او يصع من لحم الغنم معلنة بعظمها عدة سرائح في عطله واحدة ودقيق الفلفل مذكور عليها كلها بكثرة وكل هذه اللحوم غير نامة الصع وقد تكون عوضاً عنها بضع كبيرة من لحم الفر بيئة وهم يستطبون اللحم التي بدرون عليه دقيق الفلفل فقط . ولكثرة اكلهم هذا اللحم تتولد فيهم الدودة الوحيدة المشهورة عندهم

ويدعونها بأكل نت يعرف بالشاو وهو الحشيشة الحشيشة استعابها من هناك  
روتى فكان لها فعل جبل وشهرة لانكر في بلادنا. والشراب الفاخر عندهم  
هو الحلاب ليس ماء الزبيب كما يصنع الآن عندنا بل ماء العسل الجيد يسكبونه  
على مائدة الملك في وافييل زجاجة يسمونها سريلة

ويجلس المدعوون على العشب المروشة به الارض وحواري الملك يحضرون  
الاطعمة فيتناولها الرجال ويندمون على المائدة. واما الملك فلا يواكل المدعوين  
لسوء منزلته بل يجلس على سريره وحوله الصباط ويعقد مجلس هو وطرب  
ويسرّ تخلّعة طرفائه والمطربون يشتغلون بالآلاتهم وهي الطنبور والشانة او  
نحوها فتخرج الحانهم بحلّة عطيفة واختلاط فيج

وفي ٢٢ تشرين الاول مشى الملك في مقدمة عسكره وقد اظهر من  
الاهمة والتخفة ما لا يريد عليه فنفذوا الى حمال بحيرة مارّين سلا دجالة.  
وفي ٢٠ منه وصلوا الى الليل الازرق فاندش روتى عندما رآه لكثرة ما  
بذكر عنه من الاحار الموترة

واما جالته من اجل ام افريقية حسان السية طوال القامة حبيهم عال  
عريض انهم مائل فيهم لطيف لونهم نحاسي شعرهم مصفور صفائر صغيرة  
مسترسلة حول الراس هيئتهم تدل على الشهامة واللفظ يتعودون ركوب  
الحيل منذ حداثتهم وحمل الرمح والفرس فيهم فرسان حاذقون اشد على  
المشتات اصحاب تسالة واقدام في الحروب ويتعاطون الزراعة بهمة وبشاط  
ولباقة وعليهم زعيم دواس وتدير ولكنهم وحسن تدابيرهم لا يقوم في وجههم  
امة افريقية ولا اكثر ولسائهم حمال كساء عادل ولباسن كازياهم تقريباً  
واما مدهم فليس كالوثنيين ولا الموحدن تماماً فيعرفون ما واحد لكن  
لا يعبدونه عبادة طاهرة والحرافات عندهم كثيرة وقد اقتبسوا من النصارى  
جيرانهم بعض عوائد منها احترام يوم الاحد فيجتمعون فيه ليلوا الى الله ان  
يمنهم مواسم حيدة ويجمعون صماغ من الزروع وينأطونها وياخذون قصبة

طولة ذراع بمسك الرجل باحد طرفيه والمرأة بالآخر ويرقص كلاهما دائرين  
حول شجرة خاصة وهم يقولون اللهم اجعل زرعنا خصباً واحفظنا واحفظ اوراقنا  
ومواشينا . وهلم حراً . ونارة يرفعون الفضيان فوق رؤوسهم وطوراً يحضونها  
ثم يستعدون ويهيمون ويغنون ويكررون الصلاة المذكورة الى مصي نصف  
ساعة ثم يقدمون ذبائح من الغنم

واذا ارادوا طلب معونة الله في الحرب والصلاة قلما تتغير واما الرقص  
فيختلف فنصطف النساء حلقة حول الشجرة المقدسة عندهم ولا تمسك الواحدة  
يد الاخرى ولا شيئاً آخر بينهما ثم باقي الرجال على الجبل اسلحتهم ويترجلون  
وياخذون الرماح والدروس ويصطفون حلقة وراء النساء فتبدى واحدة  
بالرقص بان تصم رجلها وتضع يديها على حنفيها وتواصل الرقص وتنا على  
رجليها بحدة وخفة ويعمل فعلها الرجل الذي يكون خلفها ثم كل واحد من  
الجماعة يفعلون ذلك مساوية واخيراً باخذ بعضهم بايدي البعض ويرقصون دوراً  
نهائياً دائرين حول الشجرة وهم يستعيتون معونة الله وبعد ذلك يدبحون  
توراً وبالكوبة وبركون ويمتنون الى الحرب راساً

وفي ٢ تشرين الثاني وقف الرك عند دير يقال له روى ليمانوس وفيه  
ضريح لراهب مشهور عندهم يحترمون ويرورونه وموقع الدير جميل جداً  
تجري عنده ساقية يقال ان لها احوالاً عجيبه وبعد تصب ساعات من الراحة  
اتم الملك سيره الى انغولولو فدخل دخلة حليلة وفي ١٨ منه سافر وتحتوي روسي  
الى انكور العاصمة القديمة لمملكة توى . وهي واقعة في السند الشرقي من سلسلة  
جبال بركانية الاصل وتشتمل على عدة بيوت متفرقة بعضها عن بعض وحول  
كل بيت حبيبة مسيمة لسياج حي من العوسج ونحوه . وسطوح البيوت على شكل  
مخروطي ترتفع بين الاشجار العضة تدرج سلمي بنح الطار . وعدد سكانها كان  
نحو عشرة الاف

وممازل الملك قائمة على آكمة مخروطية تشرف على الجبل وحولها خنايل

نصرة مرتبة ترتيباً حسناً ومن رأس الآلة يشرف الناظر على حرس تحت القرية  
اشجاراً أرز وشربين مرتبة في السحاب ارتفاعاً عظيماً وهناك اصاف الطيور  
المعددة بكثرة عجيبة تحي بها تلك النعمة وينلق معها الانسان في حر النهار ظلاً  
ساعاً ورطوبة تنعش القلب

ومن جهة الشرق يمتد النظر الى مسافة نحو ١٢ كيلومتراً على بلاد متبوعة  
السطح عجيبة الحص لا يقع النظر فيها الا على الحصرة الصغيرة المدحمة اللون  
قوس السحاب

ولما راق لروثي المنام في انكور احد بناهب لعل السكر لانه كان قد  
وعد الملك ذلك فامر الملك باستحصال كل ما يطلبه من الادوات  
قال فطالمت جماعة من الخرافين وسالتم ان يصنعوا لي عشرين قالاً  
وفي ٢ منه اخبرني الملك انه ارسل جماعة يتبعون الي عود من قصب السكر  
وكان مرحاً جداً ان السكر سبضع في بلاده . فسألته ان يحضر لي خمسين  
شاة لا تستخدم في العمل حين وصول عياد القصب فقال انه يحب هو نفسه  
ان يشتعل ايضاً وينف على كل حركة اعينها في اناء الشعل وان يكون العمل  
في احد يومه

ثم اتى بالقصب فكان احوذ نوع رابته في مصر وغيرها لم ار اعظم ولا  
اعظم منه ولا اكثر ماء ولا احلى طمأ فامرت بسخ ليطه ( اي قشره ) وان يقطع  
قطعا صغيرة ويهرس في هواوين من حسب ثم يوضع الحاصل في قطعة كبيرة  
من الحام ويعصر ثم اشعلت باعلاء العصير وصفينة بلحمة من صوف ثم صعدت  
ماء حتى صار في الدرجة المناسبة من التخمير فسكبته في الثواب حتى يتلور .  
وهذه العمليات اقتضت يومين وكان الملك يشتعل معاً بيده وكثير من خواصه  
اشتعلوا ايضاً . وبعد ايام اخرجت السكر من قواله وقدمه الملك نظراً  
طرباً غريباً ونجب عجباً شديداً من صاعتي

وعلى روثي الملك غير ذلك من الاعمال النافعة في الصناعة وغيرها

حتى ألح عليه ان يبقى في ملكه وأنه يوليه إحدى الولايات . فاقام عنده  
 اربعة اشهر شهد في اثنائها صيد القرد وحرب الحشرة والجالة ثم رجع الى اوربا  
 عن طريق تاجرى وزيلج

واذ كانت هذه الرحلة قصيرة غير مستوفية الاخبار اقتضى ان يرسل  
 رحلة اخرى فيها بعض التفاصيل كما سيأتي في الفصل الثاني من هذا الباب  
 وعقد رجوعه اصحبه الملك صالح رسالة الى الملك لويس فيليب هذه  
 ترجمتها عن الاصل الفرنسي

من النجاشي صالح ملك شوى الى لويس فيليب ملك فرنسا  
 اكتب اليكم كتابي هذا بعد ان سمعت روشى يذكر عظمتكم فسار اليكم  
 فلي طالباً بصدقكم ومن العادة ان الهدايا بين الاصحاب المتعاضدين اول وسائل  
 المواصلات ولذلك ارسل اليكم بعض اشياء من محاصيل ملادي وهي ترس وسيف  
 وخاتم فضة واسوار حربي وخنجر وجامد ، اسود وخنجر لينة ورمضان وقرص  
 وكتابان اسم احدهما سنكسار والاخر فتح النجاشي واست احسب هذه الاشياء  
 لاثقة بعظمتكم ولكنها اشياء اثرية للتعرج

لا اقدر ان امدلكم الوداد الذي يتحصل من النظر والكلام فاكثري ان  
 اودكم بالكثافة لاني لا استطيع ان اراكم الا بالحبر والورق ولا اكلمكم الا بالسان  
 روشى فقد فوضت اليه ان يشافهمكم بافكاره وارجو ان تسعوا بعوده الي وان  
 تقولوا له بعد رجوعه ماذا تخبرون ان ارسل لكم من ملادي ما لا يوجد في بلادكم  
 فاني سادد راحلاً الى مصلحتكم واعيد اليكم روشى بالسلامة  
 وبركة رسالاتي ومخلصاً لان تكون معكم امين النجاشي صالح

## الفصل الثاني

### رجوع روتى الى مملكة شوى

لما دخل روتى بلادهُ لقيه الملك لويس لاهاً جميلاً واحشلت قدومه  
جمعية العلوم وهنأتهُ سلامته وكان الملك صالح قد ابح عليه بالعود واعداً اياه  
احسن المواعيد . فاعتزّ بِثُل هذه الاسباب واطعته نفسه بان يرحل رحلة ثانية  
يكتسب بها شهرة وعظمة اكثر مما حصل عليه

فخرج من مرسيليا في اول كانون الثاني سنة ١٨٤٢ اوبلع الاسكدرية في ١٥  
منه والقاهرة في ٤ شباط ومضى منها الى القصر عن طريق قما

وركب البحر الاحمر الى جدة ثم الى محّا ثم ذهب محرّاً الى تاجرّى وكان  
الانكليز في تلك الحوادث متعدّدين على السائلة الاحدية فاضطرّ ان يكس  
راحقاً في طريقه الى محّا فتار على سمينته بوء شديد قال في وصيه ما ياتي

حيما بلغا منتصف الطريق بين تاجرّى ومصبق باب المندب عصفت  
رياح شديدة وحدث بوء لم اعهد له نظيراً في سابق حياتي واحدت الامواج  
تتقاذف سميتها الحسياسة والبيارات تنفخ امامها هاوية بعد هاوية وترفعها نارة  
الى علوّ عظيم ثم تهبط وقد طنا ان اللجة اتلعنا واشتدت الرعود وسنطت  
صاعقة على مفرقة مما فشنت البحر كحبة من نار وظهر على انرها لهيب ازرق  
واخضر وانتشرت في الجو رائحة كبريتية كدنا نختنق تنفسها



ثم اشتد عصف التيارات وعصف الرياح وجرت من السفينة اشياء ثقيمة  
وتفرقت الفلوع وغرق احد الدافعة . وصار البحرية يصيحون ويستعيتون وقد  
اذهلهم الحال ووقفوا حيارى من شدة الهول . واما انا والرئيس فقمنا متخلفين  
منصرين وجعلنا نضرب البحرية حتى ينتبهوا الى اعمالهم ويخرجوا من خمولهم . ثم  
تمكنا من اصلاح الفلوع وقال لي الرئيس ان الصواب لو خاطرنا بالنهوس  
والاموال ان نتقدم الى ما بين الصخور على ساحل افريقية ولما صار النهار  
قريب الاصرام راينا صخوراً ضخمة كانت السفينة تدبومها بسرعة فدمم الرئيس  
على ما فعل ولم يعد نستطيع العود فراينا الخطر جسيماً واصابنا الشدة كما راينا  
الموت ناعيننا غير ان الياس احببنا المهمة وحدد نشاط البحرية فانوا يتناكل  
قوية ورنطوها بحمال متينة مربوطة بالسفينة واحد التناكل ثلثة من اسل  
البحرية ووقفوا على المقدم فلما قررت السفينة من الصخر الاول انقوا انفسهم في  
الحر ونفذوا الى الصخر وهم يقاومون عصف الامواج الراكزة فملعوا الصخر وعلنوا  
به التناكل تعلقاً شديداً فوقفت السفينة وحصلت في الامان ولولذلك لمخاطمت  
بالصخور القريبة الوصول اليها ( بنال ان بحرية البحر الاحمر من العرب  
مشهورون منذ القدم باقتحام احوال البحر والنصر في شدائده )

وتالي يوم ركذ البحر وبعد يومين ملعوا محاصراً روتى ان يمكث فيها  
مدة طويلة حتى انتقوا له حادث استطاع بواسطته ان يدخل بلاد الحبشة في  
وقت اقرب ما كان يرحو فان احد اهل امانا وهي قرية محاورة لناحري  
كان مصاناً فرحة تعرف فرحة الياس وكان قد علم ان روتى طبيب وشي  
جماعة من اصحابه الفرحة . فاتي اليه وطالب ان يشفيه

وهذه الفرحة على ما ذكر الطبيب بتي الدرسوي عبارة عن آفة عنصرية  
تصيب السودان والعرب ونحوهم ولا تصيب الاوروبيين وذلك على ريف  
البحر الاحمر من حد عدن الى يبع . تنفد بفترة صغيرة تحدث من خدش  
او حرج وعالماً في الساق وبعد ثلثة ايام تلتهم وتورم وتكون في وسطها نقطة

ظاهرة تم تحدث دائرة النهاية حول الانتهاب الاول ويكون في الوسط غور قابل . تم تنظيف الفرحة ويصير مكانها احمر وبعد خمسة او ستة ايام تتعاطم حتى تصير كراحة اليد ويحدث معها غوريين فتصيب العضلات وترتفع حافتها وتنقلب ويشعر المصاب بالآلام شديدة ولا يستقر من شدة الوجع ويتسوس العظم ويكشف ويخرج منه شظايا وينتهي الحال بموت العليل

ووعده روتى العليل الله بعالمه على ان يسرله في قرينه مبرلاً يامن به الى ان رد عليه جواب الرسائل التي ارسلها الى الملك صالح قبل ان يارح ناحري املاً ان يسهل وصوله اليه . فاحاطه الرجل الى ما طلب وبعد ان تبي وفي موعد في ١٦ ابول دخل روتى امماو وشباك وصلة كتابان احدهما من الملك صالح والآخر من الملكة بذكران فيها تسهيل السبيل لوصول الى الاطما وبتوددان اليه كثيراً ورسالة اخرى باسم والي ناحري فيه اشد الوعيد اذا لم يلع روتى المرام من اختيار المولد او اذا مس ضرر

فهذه التسهيلات تسرر روتى الخروج من امماو في ٢٥ ابول بعد ان اجتهد والد العليل الذي تنهأ ان يتيه صبيها مكرماً عبدة وارسل معه جماله تحمل اثنتائه لكن ماجرة واحدة . والطريق التي سلكها هذه المرة في المزد عادل نفس التي سلكها اولاً تريباً فانه مرَّها بالخبرة واسهـى الى ديبالي وهي من اول الترى في حدود بلاد شوى

واحرر مع ذلك انه في انهاء الطريق حدثت حادثة تستحق الذكر وهي ان الماحور هري الانكليزي كان معه جماعة لصد بلاد شوى قبل وادياً بنال له وادي حتمنا ولم يجتز على سبيل لثوق هجمة اللصوص لبلأ وكان قد ربط الخيل في وسط الوادي واقام حرسه الاوروي في حوة السبع الشمالي والضايط في حوة الحصبض الجنوبي فصت عليهم اول ليلة لم يصادوا شيئاً وامايء الليلة الثانية فقبل نصف الليل بساعة عصمت رجح شديدة وارت في الوادي سخائب من الغبار ثم سقط قابل من المطر قطرات كباراً وفي وقت قصير

ركدت الريح وصفا الجوّ وطلع القمر . وفي الساعة الثامنة بعد نصف الليل  
سمعوا صراخاً مرعجاً علواً صراخ مستعيت لهف هبّ الساس واخذوا  
ينادفهم ومشى هري مع جماعة من حموده الى مكان الصوت فوجدوا رحلين  
يتشيطان ، دمهما وبجاسها رجل يرتو علي من التبع مبقور الطن مدلق  
الامعاء

وكانوا قد راوا عند سماع الصوت تسجين راكبين في بطن الوادي واخنيا  
بين شعاب الحبل فاراد الدناقلة اصحاب هري ان يلاحقوها فلم يهتدوا الى  
مخباها في تلك الكهوف وشقوق الصخور

وطر الجماعة ان هذا العمل يكن على سبيل السرقة لكن على سبيل الانفجار  
بالتنبل لان من عادة اهل عادل ان الذي ينزل رجلاً ينال فخراً ومجداً في  
قومه ويعدّ من الابطال ويكون له حق ان يعلى شعره المدهون بالتم ريشة  
نعام بيضاء وان يجعل في زبد اسواراً من نحاس وان يربس سلاحه شيء من  
المضة . فهذه الامتيازات الناخرة عندهم هي التي سهلت لذيبيك الطين ارتكاب  
هذه الحماية عمداً

وذكر حادثة اخرى تسلمت الانصار ايضاً لما فيها من التأثير قال  
كان من حملة النساء الشائعات للناقلة فباد اسمها نيسة آتية مع احبها الى بلاد  
توى لتتزوج رجل من الدناقلة كان قد حظها . ومن العادة عند اهل  
عادل ان يتعول ساءهم شيء من الحرية لكن يرضون عليهم القيام بالاعمال  
الشاقة وكان احو نيسة قد وكل احنة بقيادة بعيرين من اصعب حماله  
وعامت بها نعا شديداً حتى رقى لها قلبي وكنت اناذر لمساعدتها في اكثر  
الاقوات . وفي ذات يوم كنت في موحرة القوم حيث كانت نيسة قد خلما وادياً  
صعب المسالك حذاً في الطريق بين عمر علوف وكبالون فسقط احد  
البعيرين عياءً والتيت مدتي وتندمت فانهمضته معها وثاني يوم حدث له ما  
ذكر فاردت ان اعيمها ايضاً فظرت الي نظرة العصبوب وقالت لاندن فاست

عيون (اي تصيب بالعين) وقد اصببت بعيري فما باليت وتقدمت فانهمضت  
 الجمل فالت حين تقدمت «يَهْ يَهْ دَبُّو دَبُّو الهرنجي» اي عجباً ما اوقع هذا  
 الهرنجي . وهو الذي يمنع بعيري من المسير . فاخذت احاول اقتباعها ان هذا  
 الاعنناد حرافة لا معنى فيها ولم اقدر على ذلك الا بعد ايام واخيراً عرفت ان  
 قصدي تخفيف نعمها لا زيادته فنالت اري ان لك سلطاناً حتى على الحيوانات  
 ادلست محيماً كما يعتقد اهل بلادنا . فشرحت لها اطل الحرافات وصدق الاساية  
 فاست بي من ذلك الوقت فقدمت لها شيئاً من الحرز وشرحت لذلك  
 واحبرت رفيقاتها فحمدنها . واتخذني حينئذ صديقاً

وبعد ان احتزنا عواش رايت البعير قد سبط لا يستطيع هرواً اشد  
 الاعياء فانيت حسب العادة لانه قد دع هذا العباء فساصل اخيراً او  
 بقصي علي في الفتر فصرت اسلمها والطف مصيبتها فنالت اراك رجلاً صاحب  
 قدرة واطف وباحذا لو كنت تزوجني فمضير عائلته واحدة واجي شعاع منلك  
 فلا يندر احد علينا فصعكت في سبي من هذا العرض العريب وقت ما  
 احسن ما اكون زوجاً لذات الجمال الاسود . ثم قلت لها لاصرفها عن محاورتي  
 سلي احاك هل يرتضي . تركي خطيبك . وفي بني انه لا يسمع لان هذه  
 العادة عندهم ان لا يعطي امرأة بعير خطيبها فكان كذلك وحرمت مقبسة  
 وناسفت كثيراً وقالت عندما افترقا اني سانروح نعم لكن تمنحني اني لا اسالك  
 مدي حياتي

ولما دخل روتى بلاد سوي كان الملك صالح في اعدوللا يتنظره  
 مفروع صبر فاسرع ودخل عليه فالتفاه اشوق شديد وكان لابساً حليته  
 الرسمية وجالساً على سرير معطى بمحبل قرعزي فدیده الى روتى بأشأ فاعينته  
 غير مبال بعادة البلاد فصار يسأله عن سفرته وعن الهدية التي اتاه بها ثم راي  
 انه محتاج الى الراحة فاذن له مالا انصرف ليأكل وييام  
 وتاني يوم جلس له جلسة طويلة وسأله ايضاً اسئلة كثيرة فاخبره

روتى كل ما اراد فعقد مجلساً حاولاً ثالث يوم اجتمع فيه الخواص لينقدم له  
روتى الخدايا الميمنة التي اناه بها من فرسا

قال وكنت قد احصرت هذه التحف ورتبتها على نظام احسب انه يدهش  
النظار باظهار شيء وراء شيء فاندأت بالسلاح الضخم واول ما اظهرت دئة  
سدقية تم خمسين طبخة وتمايلي قرابينات ومئة عنارة وخمسين سيقاً للفرسان  
وخمسين المشاة . تم قدمت شقناً من الخوخ الاحمر وطماص من صوف وشقناً  
من الحرير ملونة ومفتوشة . وقدمت الملك خاصة لاه مولع الصيد سدقية مزدوجة  
كثيرة الثمن مربية مفتوش ذهبية ارسلها اليه الملك لويس فيليب . ثم ارته كثيراً  
من الخود والدروع المختلفة وهي تلعب كالقصة فجاء الامر في ان احرقها عليه  
فانتحج جداً مضطرباً . وهم لا يعرفونها هناك

ثم احصرت مدفعين وقدمتها له وكان عدده مدفعا قدمها سائناً جماعة  
من الانكليز ولم يكن يستعمل المدافع في الحرب لكن كان يستمتع وتفرح باصواتها  
في الاعياد والاحتمالات الخاصة فسألي ان اطلق المدفعين ليرى الفرق بين  
صوتها وصوت اللذين عدده فقلت له نترك هذا العمل الى وقت آخر أكثر  
مناسبة . تم الهيتة عن ذلك باشياء اخرى فامرت باحصار اربعة صناديق  
كانت في مربي فلما رآها حركته رعبه شديداً حتى يعلم ما فيها فاحدث  
افتحها واحداً فواحداً واظهر له منها العرائب

فاخرجت اولاً آلة موسيقية ذات صدوق واساطير وراير تديرها  
فمنصرب ثلاثين نغمة فلما رآها تعجب واراد ان يعرف ما هي فادخلت اسطوانة في  
الصدوق فتندم وصار يهرس لينف على سرها وهو لا يستقر من قلة صبره  
وانا اركبها على منبصى الاحكام فلما احكمت التركيب سألته ان يصعق هو وسائر  
من في المجلس ثم ادرت الدولاب فتعركت الآلة ودارت الاسطوانة ورت  
الحانها المظربة . فما اقدر ان اصف الهيتة التي حدثت على اوجه الحاضرين  
والحركات الاشارية التي ظهرت منهم عند الوقوف على هذه الغرابة . وهم الملك

مرات ان يسألي عن هذا السر العجيب لكن ادعته الانحرف عن قطع هذه  
اللذة العظيمة . فلما انتهى اللحن الاول اوقفت الآلة لاحل تشويقاً لما يلي  
وحينئذ فاصت علي السوالات كالمطر المهر فتحت الصندوق وصرت اشرح  
لهم كيفية العمل بهذه الآلة

وطرب الملك اشد الطرب واظهر لي ما في دليل تشكراته القليلة لافصال  
ملك فرنسا الذي اتخذه هذه النعمة السنية فاتخذت تلك الفرصة لكي اريه هدية  
اخرى اكثر اعتباراً واشد عجباً من هذه فقلت له الذي رايته كله من صفة ملاءنا  
لكن ملكنا اراد ان يجعل العلاقة الحية الصحيحة بيننا وارسل اليك ما هو احر  
واثمن ما رايت . ثم اخرجت له من صندوق صورة الملك الباريت فلما وقع  
نظرة عليها احدث الدهال لان الصور الصعبة الموحودة في كائنات الحسة  
لم تظهر له شيئاً من دقائق هذا الفن الطيف . فكان يرى الصورة المذكورة  
كأنها تخص محمداً بكتاد يطلق محمد متغيراً ثم صار يمد يده اليها لعله يمس حسناً  
من لحم ودم فلا تصيب ادهاناً مستطاباً فيزداد تحيره كالولد الذي يمد يده  
الى بركة ماء ابسك خيالة المتعكس . ثم صار ينقلب الصورة ويظهر الى قدامها  
لعله يدرك مصدر هذا السر ويبحثها من الامام والوراء وهو لا يهتدي الا الى  
الادهاش وتلك الافكار والارباب

فقلت له احب ان كنزة المس تودي الصورة وتنقص روتها وهذا الهدي  
ترأه ليس الادهاناً على سجع بانع روتها وتقبله للملك من دقة الصنعة . فسمع  
حينئذ لحواصداً ينهز حوا عليها وامرهم ان لا يمسها احد بيده وبعد ان فرغوا  
ارسلها الى الملكة واصفاها بس الوصية وبس نصف ساعة ارجعت الى المجلس  
فوضعها على سريره وحمل يتأمل فيها وقال حتماً ان هذه النخبة احر التحف التي  
ارسلها الي ملككم وهي ما يريده عدي اعتباراً وحماً فكلي اراه واحده . فقلت  
له الآن يوافق اطلاق المدافع اكراماً لملكنا . فاحاب في الحال وقفا فاطنا طائنين  
لم يكن لهما صوت عريب ثم امرت بتكثير كمية المحتو فلما اطلق المدفع كان له

التمتع عظيم فدهش الملك وأمر بإبطال الإطلاق  
وعند انقضاء المجلس طلب روثي أن يقابل الملكة فأذن له الملك  
فدخل وسلم عليها سلام الحلال فأجبت منأه ولا طنة كثيراً فتقدم لها بفأس  
الحلل الحريرية فاخترت الساذجة منها ولم تكثر بالمقنونة  
وفي آخر النهار أوم الملك وليلة فاحرة على ما وصف آنفاً. وافترق لروثي  
أن يقابل هناك الوفد الأنكليزي تحت أمن هري المار ذكره وكان القصد  
من رحلتهم الوقوف على أحوال البلاد والتجارة لأن أنكلترا كانت ممددة موحدة  
انظارها إلى بلاد الحبشة ولذلك كان أرباب الدولة والملك والملكة لا يكرمون  
إلاهم فساوهم في رفاق غير شاكرين

وفي تلك الأثناء شكى الملك حذاراً فاستوصف روثي بوصف له الفرق  
بدهن ابن فرس الهر وهي عادة جارية في بعض أقطار إفريقية. وكانت غاية  
روثي في هذه المسألة لامتداد الملك فتطلب الحصول على هذا الحيوان ليرسله  
إلى مجمع الآثار في باريس

دأبته الملك بجماعة من المحربين في الصيد فمضى بهم إلى نهر تيبا تيبا الكثرة  
فرس الماء هناك فاحتاز بضع بعد اخصب وانصر صنع في بلاد الحبشة وهذا  
الصنع يشبه الهر المذكور فيكس روثنا خاصاً فصلاً عن كثرة الدانات والاشجار  
واصنافها المتعددة. فان الهر بحري أولاً إلى جهة الشمال الغربي ثم يعطف  
غرباً ويقع في اليل الاررق. ومن عند قرية شيا شيا إلى جبل موحير يحذر  
سرعة في وادي عيب العقب يشق هضبة شوى شناً قائماً غريب المظهر وعلى مسافة  
٢ كيلومترات من العولولو قبل أن يصيب في هذه النخبة العظيمة يكون ارتفاع  
محراه عن سطح البحر ٢٧٠٠ متر وبعد مسيرة ٤٨ كيلومتراً نحو الشمال الغربي  
يصل إلى حوت فيكون ارتفاعه هناك نحو ١٤٠٠ متر فيكون تدرجه من وهدة  
إلى وهدة على التدرج سريعاً عيباً ولا سيما في رن فيص الأمطار. فنضارة  
البلاد على ضفتيه من اعظم ما يكون وتكثر الفرود في تلك العياض المشتمكة

والطرق في سفح الجبل الى مجرى النهر مستوعرة جدًا ضيقة وحولها وهاد يشعر  
المدن من الطرق اليها فلا تسلك تلك الشعاب الا بغال الخمسة المتعوده  
فلما شرعوا بصيد فرس الماء كان رفاق روتى يرمونها بالحراش كما تطعن  
الحشب لصفاقة جلودها واما روتى فكان يطلق الرصاص في ادمعنها فتبسر له  
قتل انسى كانت قد ولدت مد عهد قريب . ثم قتل غيرها ايضا ولم يوفق الى  
اثناء مطالعه . وبعد العشاء السديد عاد خائفا الى اعداؤهم فلم يات اياما قليلة  
حتى وصلته رسائل ثلاث قلته ورحا

وذلك ان اثنين من السباح الروسويين كانا في رحلة علمية الى بلاد الخمسة  
وقصدا الحولان في مملكة شوى فأوقنا على شحوم حرة فارسلنا الى روتى  
يطلبان مساعدة الملك لانهم سرها وعرض روتى النصبة على الملك وكان  
حينئذ يتأهب لغزو بلاد الحالة فارسل الاوامر المشددة بايصالها اليه ولم تقص  
الا ايام قليلة حتى اجتمع الاصحاب

واما الحالة هذه اشترى الى تبي من احوالها في الرحلة الاولى لروتى وانها  
متاخمة لكل ارض الخمسة من الجنوب وانها ذات شدة وطقس وحس صورة  
بيها وبين الامهرة متاخمة من عدة اوجه الا انها ليس لها غديهم . والفن  
بين الفريقين متواصلة ومن عادة ملوك شوى اكتساح بلاد الحالة كل سنة  
فتبسر لهم لما بين قبائلها من الاشتقاق ان يفهم في رنة الطاعة واذلال الناس  
فتبسر روتى وصاحبه هذه العزة التي قام بها الملك صالح وراوا من كثرة  
العساكر وحسن نظامها ما اعجبوا به وكانت النائل تنضم الى العسكر في اثناء  
الطريق من كل بلد يصلون اليها بين فرسان ومشاة الى ان بلغوا معبد  
الاجتماع الاول فبلغ عدد الفرسان نحو ثلاثين الفا منهم بالرمح والسيوف  
وتروس الجاد يوجون في تلك السهول كبحر متلاطم وريق استهم ولعنان  
سيوفهم مما بهر الاطوار والجيش مشنكة كانوا رجل من الجراد يزدحم بعضه  
بعض والجلدة وقفعة السلاح وصهيل الخيل تلاءم الحو والعار مضروب موقهم



سرادقات واقبل الملك على فرس من جياد الخيل مرخف العدة ووقف في مقدمة الفرسان مابهة وجلال . وعلى جانبيه رحلان بجملان مظلة من المخمل القرمري في اعلاهما صليب ونفاحة قصة ووراءه الساسة بالنروس المرببة بالنصه وعشرون من الكهنة وساء يقين بحدمة مائدة الملك ومعمون ومغنيات ولات موسيقية واربعمائة رجل من الفارات . وقدام الملك على بعد ثلثمائة قدم مهر يحمل سلة معطاة بالخوخ الاحمر فيها الكتب المتدسة وحوله جماعة معهم المنادق يحرسونه اتخذوا ذلك مثالا لماوت العهد حين كان يسير امام الاسرائيليين في الحروب

فاجتمعت العساكر كلها في محلة بيني وبين في ٢٤ اذار سنة ١٨٤٢ . فكان عدد الفرسان ٤٥ الفا وزحفوا على بلاد الجبال . فرأى المساكين انهم لا يستطيعون القيام في اوجه عساكر كالرمال كاملة السلاح متفنة الطام . فلجأوا الى حبرائهم تاركين ساءهم واولادهم وشيوخهم وبهائمهم فوجدوا الحشمة في سهل ناجي وبري غبية ماردة لا تقدر لها قيمة . فوقف الملك عساكره اولاً ثم بعد ساعة قال لهم كروا والبصر من الله فانقص الحبس كالسبل المتدفق او كالدئاب الكاسرة قال روتني فاقشعر بدني من فواحش هؤلاء الوحوش وفظائهم وما كنت ابالي لو كانوا يماربون رجالاً لكن يبذلون شراستهم في من لاقوة لهم ولا دفاع فصاق صدري وما عدت استطيع صبراً على معالهم القبيحة فاقتمعت المعمة لعلها اخلي بعض الانفس البريئة والحلوقات الطاهرة . ورايت والله يعلم شدة تازري شيوخاً مقطعة مهشمة وساء مظروحة بحجاب اطفاها الرضع المدبوحين وحتتاً واشلاء لا يقع عليها النسر ما لم يرتعد الدن ملطحة بالدماء معمرة بالتراب مقطعة مهشمة . اطراف مقطوعة وروؤوس مدحرجة ولطون مدفورة وصدور مشنقة وهلم جراً . ثم رايت فارسين مفضين كالنازي على امراء وفي نهب الارض ركضاً وتستعيث فسللت سبيي واندفعت لخدمتها فلم يدركها الفرسان حتى كنت قد وصلت وانتشرت اليها ان يرحما عنها فبرز احدهما رحمة وصوته الي مصر بته

السيف ضحاً على وجهه فطاش من شدة الصرعة ونكص مهرب رقيقته ثم لحق به . وتقدمت الى المرأة فجمت على ركنيتها ومدت اليها يديها متوسلة ودموعها تجري فاومأت اليها اني اتيت لانهما من يد عدوها واذا بجدي قد اقبلوا فرجلت احدهم عن دانه واركنتها وهي في ذهول ما اصابها

وعمل روتى عدة اعمال مثل هذه وكاد اصحاب الملك يفتونوه لو لم يظهر اسالته وغرضه ناسر جماعة من اعداء الملك حتى ارتفعت مكانته عنده اصعافاً ولما عاد الجيش الى المعسكر حدثت مهم عدة حوادث طليعة من ذلك ما قال ابي سمعت من صوت اطلاق سادق من مكان غير قريب مضيت لاعلم ما الخبر فعلمت ان جماعة من الامهريه اطلقوا سادقهم على قوم من الجالة مخبئين في الاشجار فنصدت المكان فاذا هو حصيص هصة شحاطة لشجر العرعر والامهريه يتشتمون على اعدائهم في كل شجرة من تلك الاشجار وحالما يرون واحداً منهم يرمونه بالرصاص . وتقدمت الى شجرة علمت ان فيها ثلاثة اربع الجماعة ان يرموهم وكادت الشجرة عالية مشتمكة الاغصان فعملت انظر من حلالها حتى رايتهم بعد الجهد وارتدت ان اخلفهم فاسرت اليهم ان ارلوا فاطلقو سبيلكم وعابكم الامان فلم يصدقوني وقوا متعنتين ماعلى الاغصان لا يطفون بكلمة وتقدمت لاصعد الشجرة لعل افنعم ادا وصلت اليهم شالما امسكت الجذع سمعت صوت طلق وسقط واحد منهم امامي ميتاً وتراكم الجود اليه لينقطعوا واختصوا عليه واردهوا حتى ما استطعت الخروج من بينهم لا يتجر يد سبي

وفي ذلك الوقت اعلن الملك رجوعه الى ابعولولو واسرع في المسير حذراً حتى كان يقطع المراحل سير حثيث لا يبالي بشدة الامطار فاضراً المطر بروتى كثيراً . وكانت العميمة التي عموها ٨٢ الف راس من المواشي فضلاً عن الاسرى وكان حظ روتى منها الحصول على حريته ليرجع الى بلاده وقد باع مبراة رفيعة جداً حتى لقبه الملك بالوالي او الحاكم ونطوا في مدبحه الاشعار الكثيرة وعرض عليه الملك احسن الولايات لكي يقي في بلاده فاني لشدة توفقه الى الوطن

العزیز وخصوصاً لان صاحبه السائحین سافرا الى غندار  
 فسارح روسی مملكة شوی ومرت قرية البو أما في ولاية ايفات وكانت فيها  
 سوق نقام في اوقات مخصوصة وتعرض فيها اصناف المضائع المعروفة في امريقية  
 الشرقية واستنصع ما لزمه لقطع بلاد عادل . ومن تلك البضائع البين والظن  
 والنع والعبيد يباعون نادوات رجاجة . والمسوجات النطنية والحربية  
 يوتي بها عن طريق البحر الاحمر . والمعاملة التي يتعاطونها لذلك قطع من الملح  
 اهل الحجة الشكل طول الواحدة نحو ربع ذراع وسكها نحو قيراطين ويسمونها  
 هناك عمولة والعشرون واحدة منها تساوي تالرو (عمارة عن نحو ٥ مرنكات)  
 وهم ينفونها جهدهم من الرطوبة ومع ذلك فظالما تلتفها خصوصاً في فصل الشتاء  
 فتصير قيمتها قيمة الملح التجاري لان وزنها ينقص لذوان جاب منها . واسعار  
 الماشية في السوق المذكورة بخسة جداً والحروف يباع بحمس قطع من العمولة  
 اي نحو فريك وربع واما الثور فيباع تسعين قطعة . وقس على ذلك  
 وفي اثناء تحول روسی في ذلك النظر راي حمة اي سعا حاراً وقتل عند  
 نرين وهرح الاهالي بذلك فرحاً شديداً فالح عليه الملك وامرانه الحاحاً شديداً  
 ليعتق في البلاد فاعنددر واستاذن بالرحيل وركب الطريق المؤدية الى تاجررى  
 وعرف في اثناء الطريق ان الرسائل التي كان يبعث بها الى فرسا كانت تقطع  
 قطعاً وتوزع بين الناس بصفة طلاس . وانفق له ايضاً لثناء صاحبه بعيضة الآفة  
 المذكور . ثم بلغ تاجررى ومبها مضى الى زيلع ثم الى محنا ودخل مصر والى عصا  
 الترحال في فرسا في آخر سنة ١٨٤٥ . وبعد مدة عين قنصلاً لفرسا في جدة  
 فتوفي بها سنة ١٨٥٤

## الباب الثاني

رحلة برتون وسبيك

١٨٥٦ - ١٨٥٩

### الفصل الاول

وصف ساحل زنجبار - جزيرة ومدية زنجبار - مماس وسجاي

القسم من ساحل افريقية الواقع بين راس الفلنس ورأس دالجارو (كنية عن عشر درجات من المظنة الاستوائية) يشبه قوساً كبيرة نغبرها الى جهة البحر الهندي . والقسم من هذا الساحل الذي يصل الى خط الاستواء منبداً على مسافة بعيدة من شاطئ البحر مخصص زيلي قاحل واحوال هذا الساحل مجهولة تقريباً الا ان جزءاً منه تسكنه براسة الحالة ويقال لهم الصومالة ونختاره قوافل التجارة الى بلاد قنة ونسنة سواق قليلة ونسحق من اطراف مضاه اهر تجري بعيداً الى جهة العرب . واكد قبطان انكليزي انه راي من البحر تلخاً منياً كل السنة على قننه الشاحنة

اول نهر يصل اليه السائح يقال له نهر حوب مصدره ذوب هذه الثلوج ومنعته على خط الاستواء وصعد به بعض السياح الى مسافة بعيدة . ورُجى انه يكون آمن سبيل للوصول الى مانع البيل (ليعلم ان هذا الكلام كان قبل

سنة ١٨٦٠)

واذا تقدمنا على الساحل المذكور جنوباً يتغير مظهر الطبيعة فنرى الأرض عند الشاطئ مسنهلة مكسوة بنبات غص كثير جداً وعلى بعد قليل من الشاطئ ترتفع الأرض دفعة واحدة وتندرج في الارتفاع بدرجات متتالية الى ان تنهي بحد عظيم يقال له موقارنحا حتى ان من ينظر الى البلاد من البحر يراها كسلسلة جبال مستعرضة نازاً شاطئ البحر . وفي السهوح كثير من العابات وتجرها اودية كثيرة تستطيل الى جهة الشاطئ وتجري منها انهار كثيرة على ضفافها انواع النباتات المدارية الملتفة . ومن هذه الانهر دانا وساتي وهو قريب من فرضة ميلدة القديمة المشهورة . وبحاني وقنجاني ولوفدشي ورعوما ومن طعم مياها يحكم على انها صادرة من التلوج الدائنة وقال كرنف ورميان من مرسلتي الانكليز انها رابا على بعد شاسع من الساحل بين تلك الجبال فنتين شامخين يسميها الاهالي قليمان جارو وقانيا والتج عليها دائماً

والبلاد الجميلة المرتفعة تسمى في جهة الشمال أوتماني وما يلي جنوباً جاعة ثم اوسبارة وبعد ذلك متقدماً الى المغرب يقال للمصبة العالية أوبا موازي . ومن وراء ذلك ثلاثي في محاهل افريقية الوسطى وكان يقال قديماً تأكيد ان في هذه البلاد المسماة اوبيا موارد بحيرات كبيرة تملأها مياه الامطار المدارية العربية فتتساقط منها انهر كبيرة . والتواصل التي تسير من الساحل الى حفات تنعا وكيلوا وبجاموبو لتطلب العاج في الداخلية والعبيد ونحو ذلك من اصناف التجارة نقول باجماع انها تصل من طرق مختلفة الى بحيرات كبيرة لتجارة الا بالنوارب الكبيرة . فوجود هذه البحيرات اثبت فصلاً عن المائدة الجغرافية وجود اسباب تجارة مهمة في تلك البلاد المحصنة العنية . وبهذا السبب غندت انكلترا اللجنة لاستقراء تلك الاقطار وفي مندمتها رجالان من ضباط عسكر الهند وهما رتون وسبيك صاحبا هذه الرحلة . واستفيد من اخبارها ما سيأتي في الفصول التالية

والنظر المنخفض الملاصق للبحر يقال له مريما وهو كثير الحصب لكن

غير طيب الهواء فلا يمكن للغريب ان يستوطنه ما لم نصبه المحقى . وسكانه على  
 الأكثر لثيف من السودان والعرب يقال لهم السواحلية . ويقطون ايضاً في  
 بعض جزائر بازاء الساحل مثل جزيرة ميا المشهورة بمخصب تربتها ووفرة  
 نباتها وجزيرة زربار وهي اكبر تلك الجزائر واكثرها نخاحاً وفيها مقام والي  
 البلاد ومدينته المسماة باسم الجزيرة حديثة العهد وكان بلغ عدد سكانها في  
 اوقات رواج التجارة اكثر من خمسين ألفاً وذلك لانها سوق افريقية الشرقية  
 بقصد ما للعرب والاوروبيون وتجار الهد لتبادل الاصناف الافريقية والاجنبية  
 وازقة هذه المدينة صيفة متعرجة وقد عمل لها الاوروبيون محاري  
 للتبادلات فصارت نظيفة سليمة الهواء الا ان اردحام الممارل في وسطها سب  
 اقله النضافة ويوت العرب فيها من الخمارح يبعاء كالنخ وكما كان البيت كبيراً  
 كانت مسامير ابوابه كبيرة واقفالها صلبة ودل على عظمة صاحبه وفي داخل  
 الباب الاكبر كثانة صنعة طلسم تقيهم المساوي ومن خارج سلسلة حديد لمنع  
 اللصوص وكل الماود صغيرة كانت او كبيرة مشككة بالحديد

وقرب وسط المدينة من جهة البحر حصن له اسوار مشرفة وارواح مستديرة  
 وامامه عشرون مدفعاً قريب بعضها من بعض حداً حتى لو اطاشت سقط  
 الحائط الموضوعة عليه فلو حاول زورق واحد اخذ القلعة المذكورة لما غر  
 حتى قيل ان رجلاً واحداً اميركياً دخلها بسميته لتخليص احد رفاقه ولم يستطيعوا  
 دفعه . وفي داخل القلعة السجى الوحيد في البلد ولا تصيبق فيه على المسجونين  
 وليس في المدينة شيء من الاشياء التي تستحق الذكر

وعلى الساحل نحاء الجزيرة اسواق التجارة القديمة التي صار اكثرها مدناً  
 ناهجة في زمن البرتوغاليين منها مباس وتنعا وبنغاي وبجاموبو . واما مباس  
 فاشتهرت بعابها وتجارتها سنة ١٢٢٠ وافتتحها البرتوغاليون سنة ١٥٠٥ ثم  
 اخذها العرب سنة ١٦٢٨ وبعد ذلك صارت لامير زربار وهي مبنية على  
 صخر مرجاني قرب البر وفيها آثار كائس قديمة وحصن برتوغالي كبير كبير

الابرار المستدين والقباب المحاطة بالاشجار وعلى البرّ نازاؤ رياض انيقة متسعة  
والى شمالي مماس على بصعة فراخ قرية رأيت ميا التي بنى فيها المرسلون  
الاكليز منزلاً جميلاً ثم هجروا لعدم محاسنهم في مقاصدهم

واما تعافى قرية اهلها نحو خمسة آلاف حولها غابات من النارجيل  
والكرنب قائمة على هضبة تشرف على البحر وهي نقطة ارتحال القوافل التي تذهب  
شمالاً الى بلاد ماساي . ونحاني بلدة اخرى على مصب نهر ماساي وهي بين  
تنغا وزنريار في موضع اتيقصر وفي شماليها غابات النارجيل وجوبيها  
مرتفعات الشاطئ . فتظهر من داخل الوادي الجبال الشاسعة الزرقاء ومن  
الجهة الاخرى البحر الفسح وعلى ضفة المهر بين تلك الغياض الكثيفة منائر او  
شبه مراقب تجعل لذلك الوادي شهياً بمصيق الوصفور . واسية البلدة اكواخ  
من القصب لكن فيها بعض بيوت مبنية بالحجر ويكثر السر في الغابات المحاورة  
لها وكثيراً ما يتعمق المارل . وفي المهر كثير من التماسيح لا تزال تخطف الاولاد  
الذين يدبون من ضفتي . وعلى ما تقدم صفة بحامو بو وكيلوا وهما الى جهة  
الجنوب



## الفصل الثاني

### مجرى سفر برتون وسبيلك

في ٢ كانون الاول سنة ١٨٥٦ كان خروج برتون ورفيقه من بمباي وكانا قد تعوذا استقرا الاراضي الافريقية وفي عزمها هذه المرة ان يتوعلا في داخلينها . فقابلوا ساحل رنحمار في ١٨ منه فرأى برتون مظهراً عجيباً وصفه وصفاً جميلاً

ودخلا جزيرة اسمها تمبانو يقال لاهلها الموحدون وعندهم كبير من الخرافات الوثنية ورأيا ايضاً جزيرة مما التي بدعوها العرب جزيرة الرمد وفي ٢٠ منه القيت المراسي امام مدينة زربار فاستقبلها هامرتون فحصل اكلترا وترحب بهما كثيراً وكان رجلاً صاحب حمية واقدام وبنهتو كفت التعديات عن الاجانب هناك واخبر برتون ان حاميتهم كان اميراً اسمه سعيد وقد توفي منذ عهد قريب فاسف عليه الاوروبيون جداً وكان فصل الشتاء قريباً ايضاً فاشار عليهما ان ينزعا بصعة اشهر ويتعولا في سواحل الملاد . فقبل برتون رأيه وعزم على التطواف في السواحل فاستصحب دليلاً من العرب يقال له سعيد ابن سالم وكان فتىً وديعاً بخلاف اهل الملاد . وركب هو وسبيلك فلكاً عربياً وفي ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٥٧ ارسيا في مماس فرايا الناس افواجا على الشاطئ ينظرون اليهما ويسالونها اسئلة مختلفة ونساء السودان يغتسلن في



البحر والاولاد يترامضون على الرمل وهم يصيحون «مُرغُو مُرغُو» اي رجل ابيض

فاقاما مدة في مماس مصيا بها لريارة المرسل الانكليزي ريمان وكان قد تعود هواء البلاد وجرتته السباحة في الداخلية فافادها افادات مهمة ثم عاد الى تنعا ونحاني واخذنا بناهبان للرحيل وركبنا هر بجاني ايصلا الى قرية فوحة حيث مقام السلطان قوير ويتوحها الى اوسمارة . فشبنا في المهر اياما وهو هادي رائق عريض عند مصبه الا ان فيه بعض سلاطات . قال برتون وكان نقديما لطيفاً متعملاً لكن لذيذاً بحسن المناظر وكما يرى مرس المهر يبرز راسه من الماء ويطر الينا نظراً وحشياً ثم يغوص ويوعاً من التساح فيج المنظر هائل الخالب عائر العينين يتششى على وجل الشاطئ ويقف ناظراً الينا كالمجدع الممدد . والقروء تنواتب في اعالي الانتجار والرحال والمساء يططادون السمك بشباك خشنة وخصرة الانتجار من الاحوى الى المصدر والمحمرك تكسو الصنيتين ومن حملة الشجر نخل قصير عليل الجذع حداً يسويته نخل الشيطان له سعف صغيم كنفخذ الاسنان طوله نحو ٢٠ ذراعاً ومن وسط الساط السندسي تحت الانتجار ترتفع رايق بيضاء كرفع التلح ومع ذلك فالملاذ قليلة السكان لا يلوح للماطر الا آثار قليلة من الناس ولا يسمع عالماً الا صياح القرق ( نوع من الطير ) وحنيف الانتجار بالنسيم الخيل

وعند الغروب نالنا صحراً قائماً في وسط المهر ابيض عليه انتجار قديمة يسميه الاهالي بير واسين وبروون انه كان شيعياً عرباً شريف الاصل نمت يده جماعة من المؤمنين فحجم عليهم هالك البرارة وهزمهم فطلب الشيخ ان تنشق الارض وتنبأ له لشدة حباثته من الهرمة . ولا نسمعون نطق شي من الانتجار التي عليه . وان الاهالي يدهون الى هناك لزيارتهم ويطبخون وياكلون ولا يلحسون اصابعهم خوفاً من الارواح الشريرة المستمرة طائفة حوله ولا يمر حرس امير زنزيار من هناك الا ويطرحون في المهر شيئاً من ورق الشجر والبارود

## والرصاص

وفي اول الليل لعا قرية دات اذعال كتيبة فنزلاها وترحب بهما الناس  
وبانا تلك الليلة في عانة حسنة على ضفة المهر وفي نصف الليل ركا الملك  
ونقدا الى قرية شوغواي وهي مركز البريد موقعها بين الجبال تشرف على  
العنات المودية الى اوسمبارة وفيها جماعة من الحرس السلطاني. وحاكمها الملقب  
بالجامدار احسن الالفتات اليها واصحها رهط من الحرس وجماعة من العبد  
لحمل الاثقال لكن لم تكن الجنود حسنة الضاعة على الطريق فبعد عشاء ومضض  
وصلا الى قرية اسمها قوهوداي على الضفة اليمنى من المهر والاشجار حولها مشتبكة  
كثيرة حدًا وحولها حاجر حصين لانتفاء الوحوش واللصوص واهلها كلهم سودان  
فلاحون مبارلم اكواخ صغيرة بين مربع ومستدير والماتبة تسرح حولها من  
نقر وماعز وغنم ونحو ذلك

واستمر سيرها في مسالك صعبة مستوعرة نحت امطار غزيرة والقرى  
منشورة على الطريق واهلها يستوقعونها في كل وقت ويسالون استئلة مختلفة  
لانهم هناك شداد الرغبة في الاطلاع على الاخبار الجديدة

قال برتون فلما انتهينا الى ارفع مكان من طريقنا نجيما اذ لم نر نحدًا وما  
وقع نظريا الاعلى قارات مستديرة مخروطة خصرًا من الكلا وفيها مسالك  
ضيقة حمراء التربة والاشجار كاسية اكثر سهوح الحمال وفي الوهاد منافع تشتها  
سواق صغيرة والى جهة الشمال العربي حمال كبيرة الى منتهى النصر وكما حيث  
على علو ١٢ متر عن سطح البحر . وعندما نفدما نحو فربخ عطشنا في غمة  
فراينا امامنا عدة اكواخ مخروطية فكانت هذه قرية موجهة واطلق الجنود ساقهم  
فخرج الناس من منازلهم ومضوا بنا الى منازل العرباء واقما ستظر اذن السلطان  
بواجتهته وكان حظنا في لفائه متوقفًا على خاطر المحجا وهو لثب رجل له في  
تلك الارض سيادة خوري وعرف وطبيب فالكل يهابونه شديدًا . ومثل  
هذا الرجل كثير في انحاء افريقية ولا سيما الوسطى وله في كل مكان لقب خاص

ومن غريب زعمه في الاواسط انه يستطر السحاب . والمجنح هو الذي ينصح على  
العريب دماً او نحوه بواسطة ذيل نقرة وذلك اذا كان العريب غير معروف  
وهو الذي يتعلم للمختصرين ويكل بهمهم الى الله وهو الذي يشرّد عن  
المرضى الارواح الشريرة وهو الذي يصع على العاج الذي يرسل الى السواحل  
سمات سحرية نفية من كل عارض وهو الذي يكشف الدسائس المرمومة عنهم  
لايقاع الوالي في الامراض ويعاقب اصحابها بان يوسوا حديدة ممجة فاذا  
كانت النهمة باطلة يزعم ان الحديدة لا تؤذيهم وله غير ذلك من الاعمال .  
هذه قوة المحبب العجيب الا انه يكون مع العريب لطيفاً ويمكن استرصاؤه بتقديم  
شيء من الخف قبلتي على العريب عماينه

قال ثم ادخلوا الى منزل الملك وهو في حصيص اكبة على بعد قليل من  
القرية وكان نائماً فاستوى جالساً عند دخولنا واجلسنا على اسكملت صغيرة .  
وكان هرباً مخلاً حذاً ليس في راسه شعرة ولا في ذقنه ولا في هوسن . احمر  
الحاجبين ارض اليدين والرجلين بلس طربوشاً وسحاً وحبة رنة من حوخ ووقها  
رداء قطي مطون وتحت طمسة عجمية بالية وليس في منزله شيء يمتاز به الا  
وحرد خواصه يتعدثون فيما بهمهم ويعصم يروح له ومع كل واحد قصة طويلة  
فيها عليون من العاج . واخبروا الملك اسانفخص الجوم والشعر والجر فطلب  
اليما ان نركب له دواء يعيد اليه صباه وقوته فاحتنه اسنا تركما كل عناقيرنا  
في نخاني فقال انه يسهل وجود عناقير في حال بلاده . وبعد رجوعنا الى  
ماوايا ارسلنا اليه هديتنا وارسل عوضها مخلاً ظريفاً وسلة مملوءة من خبز اللاد  
وشبثاً من الموز الاخضر مغموساً بمصل اللبن

واسم هذا السلطان قوير اي اسد الرب وهو مستند الحكم ببيع رعاياه  
عبداً للتجار العبيد وياخذ اوفر نصيب من الهدايا ونحوها مما ينال الاهالي من  
الاجاب وله حرس مولف من اربعة ائمة حندي كلهم اصحاب بنادق وله حتى ان  
يتزوج ثلثة امراء لكل واحدة منزل وخدم وله تسعون ولداً صار اكثرهم

مسلمين وبقي هو وثنيًا

وقرية فوجة قاعدة بلاد اوسماره اهلها نحو ثلاثة آلاف نس والاكواخ  
هناك مستديرة كما هي العادة في كل افريقية الوسطى من حد حرار الى تمسكتو .  
واهل اوسماره يحنطون بالعرب فلونهم اسر وهم صغار الاحسام اشداء يحنطون  
رؤوسهم ويمشون حماة ويعلفون طلاس في رقابهم وكعوبهم وايدهم ويلبثون  
كساء على احفائهم ويحنطون بحمل يعلفون به سكيناً ولا يخرجون من مكانهم  
الا ومعهم العليون والنوس والنساء يتعلين ثلثاً من حرز ايض ثقبلة حذاء  
وياسن قميصاً يعقد تحت الاط ويرسل الى الاقدام ويتعاطين الاستعال البتية  
والرجال يشعلون في الحنول ويرعون المواشي ويضادون الضياء وغيرها  
ومن شغل النساء ايضاً الاحتطاب ودق الحبوب بالمواوين واكل اللس عندهم  
بادر وبادر منه اكل اللحم كما هو شاف سائر العاراة . وانقارهم قبيلة الدر  
واوقات درها غير مته وهؤلاء القوم موصوفون بالجهن والملك

ولما كان الحرس الانكليزي لا يستطيع احتمال البرد اضطر الجماعة الى  
الرجوع فاسف الملك لانه فاته رحيلهم الدوا المعيد الشفاء . وفي ٢٠ شباط  
وصلوا الى شلالات البهر ثم بعوا شوغواي وبعد وصولهم الى بحاني اصابت  
رنون وسبيك حتى شديدة فركا سفينة الى زربار بعباء عظيم

وهذه الحمى سائدة في كل افريقية من بلاد الجزائر الى راس الرجاء ومن  
سعال الى راس القلنس ولا ينغمس فيها احد من الاوروبيين وهي تنديء بانحطاط  
عالم وثقل الاعضاء وتحدرد الدماغ وتفرز شديد ثم يشعر ببرد صعب الاحتمال  
ووجع في الاكتاف وبعد ذلك تحدث قشعريرات وصداع اليم وحرارة في الوجه  
واحتقان الاوردة وهي عظيم حتى لا يستطيع المحبوم وقوفاً ونقص العيون من  
ثقل الجفون واذا اجتهد العليل يفتح عينيه يشعر بالنهاب مؤلم ويسرع النض  
ونكسو اللسان مروة وتفقد شهوة الطعام ويستولي عطش محرق حتى لا يروى  
صاحبه . والليل اشد الماً من النهار حتى يشد الهذيان . لكن يجتري دائماً من

الصيد لان به الهلاك قطعاً . ويجب على السائح ان لا يخلو مطلقاً من الكينا  
ويغذها في فترات النوب . فاذا كان سير الحى خميئاً نتعاطم الاعراض  
ويخل العقل تماماً ثم يحدث تضرع ظاهر ويعقبه حالاً فقد الشعور والحمول  
ثم الموت . واذا كان سيرها حسناً الى السلامة تتناقص في اليوم السابع وينفس  
اللسان وتسكن الآلام غير ان مدة الفقه تكون طويلة وصعته فيوافق جداً  
تعبير الهواء لكن لا يرال العليل يشعر الى مدة طويلة بعض اعراضها كالجوع  
حاد في الفك وانحطاط القوة واضطراب العقل وبعضهم يقضي حياته ولا يشفى  
تماماً . غير ان صحة سيرة برتون وسبيك وحسن المعاملة بهمة هامرتون ما  
ساعد على غلة هذا الداء الحميت فشفوا تماماً في بضعة اشهر وكاسا في  
تلك الاناء يتاهان للرحلة الكبرى الى البحيرات الداخلية على ما ياتي

## الفصل الثالث

— \* \* \* —

### سفر برتون وسبيك الى البحيرات الكبرى

في ١٤ حزيران سنة ١٨٥٧ ركا سفينة لامام مسقاط وبعاً قرية قولاي  
على مصب نهر فنجاني وهي اول الداء الذي قصدا دخوله فصادفا هناك من  
الصعوبات ما يصادف كل سائح في تلك الاقطار فكانا قد ارسلوا وكيلهما سعيد  
اس سالم ليستاجر لهما رجالاً ودواب لحمل الاثقال لما استاجر اكثر من نصف  
المطلوب وكان نجار العرب يخوفون الناس من سكان اواسط افريقية حتى

لا يصحوا الا فرخ في رحلاتهم فصعب عليها استئجار جماعة كانية لكن بدل  
الدرهم والصبر والشهامة اكل برتون جماعة وسافر في ٢٧ حزيران وكادت  
القافلة مولة من ١٢٠ رجلاً بين سودان وعرب مختلفي الاجناس والاطوار  
وعلى رئاستهم برتون وسبك

واهم من يذكر من هذه الجماعة اولاً سعيد بن سالم المار ذكره ومعه امرأته  
واربعة عبيد ثم قهرمان سبك وصاحب سلاحه واسمه مبارك بمابي وله صفات  
غير عريضة في سلالة السوداء وخادم آخر له اسمه موني مبروكي ودو فط  
الطباع شره النفس بعض الخلق والخلق منطرف في كل اعماله شديد الحرص  
على ما بيده وكثير الطمع في ما لغيره. ثم خادمان آخران من موادي النرتوعاليين  
والسودان في غنى اسم احدهما خيتانو والآخر والنتين بوصفان الحماء وحب  
السيادة والسرقة والكذب والشرافة وضعف الطبع لكن كان والنتين قد تعلم  
لغة السواحلية واستعمال الترمومتر والبارومتر وانواع الطبخ والحياطة وكان  
خيتانو حريصاً على مواساة المرضى حشوراً لايهاب خطراً منذاً على الاموال  
لا يبالي بالموت. ثم عشرة من جنود الحرس معهم السادق والسيوف والبنروس  
والحماجر وكانوا ماوورين بحراسة السائحين تحت مسئولية شديدة ورئيسهم  
الجمادار ملوك اعور قط ذو دهاء ومكر. ثم المكارون ومحو اربعين حمالة  
وكانت الاحمال مولة من ثياب حريرية وقطنية وفلاندا من حرر او حرف  
صبي واسلاك حديد ومحاس يطلمها البرارة كثيراً

فكان برتون مع مثل هذا اللقيف مضطراً الى شدة نيقط وحسن تدبير  
فكان كل يوم يشتط الكسالى ويوقفهم من نومهم ويحث المحالين والمكارين على  
الهمة والجحود على التحفظ والسهر ويسكن الشعب ويلاطف الجماعة وهم جراً  
وكانت الايام الاولى متعة والطريق التي سلكوها في وادي قجاي تمر بعدة قرى  
وتخل العباض والعوسح المشتك والساتات الملتفة والارض رطبة من ماء المطر  
والصبا فاسد الروائح. فلم يمض اسوع حتى سقط سبك مثل الحصى

وأصابت برنوت بعض اعراضها وبالمشفات والالوجاع بلما قرية ذبل المهرة  
حيث قتل السائح ميزان من عهد غير بعيد

وكان ميزان هدا فتى من صباط البحرية الفرنسية فخطر له سنة ١٨٤٤  
ان يكتب الخيرات الكبرى فصوبت الحكومة رايه وارسلته الى جزيرة بوروبون  
فقصى منها الى زربار صحة القمصل روشان وكان سلطان زربار قد عند  
معاهدة حديثة مع فرنسا وكان ميزان تلميذاً في مدرسة اللغات وحصل معارف  
كثيرة واتخذ الآت علمية وادوات من كل نوع كلها غاية في الاتقان والطرف  
فكان لفلة محبرته يكسها امام اهل افرقية فيقطعون فيها لما لها من الهام والمهارة  
لان اكثرها ادوات نحاسية مدهمة او فولادية محلوقة صفيلة ومن الحملة ناحة  
نحاس مدهمة كانت في راس عمود خيمته ووجدت بعد حين معلقة في عتق  
الذي قتله

ولما وصل الى زربار شاع الخبر بكثرة عن مطامع فرنسا وتحدث  
الناس بمناصدها في وضع قدمها في تلك الاقطار وكان التجار الهنود الذين  
يذهبهم زمام تجارة السواحل كبري الحدر شديد المكر يشيعون الاراحيف  
عن الامم الداخلية ويوهمون الناس بمخاوف كثيرة وقصى ميزان في زربار  
شهرين يتعلم اللغة السواحلية . وقبل ان يخرج في رحلته ساح ثلاث مرات في  
السواحل المجاورة حتى تمت لاعدائه الفرصة لمصيب مكائدهم ولم يحس ملاطمة  
العرب الدس بمحمومة في طريقه من الطوارق بل استصعب رجلاً من اهل اويما  
مواري ولزيادة نخس رفض استصعب الحرس الذي عرضه عليه السلطان  
ليسير معه الى الداخلية وهكذا اتى عسقه ملا نصر في ايدي رؤساء البرابرة  
الجنسية

وعند انصرام فصل الشتاء سنة ١٨٤٥ بلغ بمجامبوو وهناك صرف الحرس  
الذي كان معه وعدده اربعون رجلاً من اصحاب الساق وتقدم وحده في  
الداخلية قاطعاً نظره عن مصائح رفيقه الاويماوازي ولم يبق معه من الرفاق

الارجل من مادكسكر اسمه فردريك ورهط من الخماين . وخطراه في  
طريقه ان يرور فاري ماربحا رئيس واقبة وهي قسم من اوزارومو . وكان  
مقام الرئيس المذكور في قرية ذيل المهن ورحب به واطهر له الودرباء وانخدع  
ميزان نظواهر ملاطفته وقضى عنده اياما بالسلام والانس حتى اطمان قلب  
ميزان

ففي ذات يوم قال له الرئيس انك ارسلت نخفا الى جماعة من الرؤساء .  
وطال به الملام حتى استنشاط غيظا وادى به الحق والحقد الى ان قال له  
وانت توث الآن في مكالك . ثم اشار اشارة فانص على ميزان جماعة من  
البراسة وبايديهم عودان كبيران فاما فردريك فحمله امرأة الرئيس فصاح  
ميزان ان يلجأ اليها فيخلص فلم يفعل واهرجت المرأة خارجا ثم ربطوا يدي  
ميزان باحد العودس ورجليه بالآخر وصار مشوحا بينهما فحملوه الى تحت  
شجرة كبيرة خارج القرية وصاروا يعنون اعالي الحرب ويصرون الطلب  
وتقدم الرئيس ماربحا وصار يقطع اطرافه شيئا فشيئا وهو يسأله اين خبا تخبئ  
ولا يجيبه بل يظلم الى الله ان يعمر ديوه الساقة ويقبلة في احضائه ويذكر  
اسماء الذين تصوره في اتاع رايهم . وراى الرئيس ان سكينه نزلت ففعد  
يحددها على حجر وعاد الى عمله الفطيع واخيرا قطع راس المسكين كانه حمل  
للدبح . وعاد يسأل الذين يحرسون امتعته عن مكانها ويحاول ان يجدهم  
ليسلو اليه شيئا منها

وكان فردريك قد مر عائدا الى رربار واحبر الفصل روشان بالحال  
ف سنة ١٨٤٦ وصلت سفينة حرية الى رربار لطلب قتلة ميزان وارسلت الى  
الداخلية مئتي رجل بالساق للحاق الرئيس الظالم فلم يجده لانه هرب وامعن  
في الاختباء وكان صهيرة لابزال بوجهه نصف ويرى في اليوم روى هائلة حتى  
اخئل وعاش بقية ايامه محنونا ذليلا حقيرا  
وبعد ان وقف نرون على هذه الاخبار رجل رفاقه من ذيل المهرة



وبلغوا نهر محيننا فاجتازوه ودخلوا مقاطعة خوطو وهي ارض وبيثة لكن بكثرة  
تردد القوافل اليها وقاسى الجماعة فيها من المشقات شيئاً كثيراً لان الطريق  
الى مسافة بعيدة بين سانات عالية تندى بالرطوبة الى نصف النهار والوجل  
لزوج مران كثيف فيه كثير من اصول السانات ثم دخلوا بعد هذه العياض  
ارضاً باسنة مشنقة بالحجارة كثيرة المحتبش الياس . وثلاث مرات احناروا  
مناقع فسيجة جداً كانوا يعرقون فيها الى الركبة في الوحول والمياه فتصا عماء  
عطياً . وصارت الامراض تستولي عليهم وما راد علاجهم ان حير افريقية كثيرة  
الجموع والعتار والكو والشروء عن الطريق فحيرت اصحابها وضيفت  
صدورهم وسقط سبك مرتين عن دانه لسوء مسيرها

وفي ٢٤ تموز خرجوا من قرية دنومي ودخلوا ارضاً يتعاقب عليها المطر  
وشدة حرارة الشمس وكلها هصاب متوالية خبيثة الهواء لا يسكنها الناس ولا فيها  
زرع وهناك تندى ادغال افريقية المختلط فيها الشجر والعوج والعاليق  
والاعشاب المتكاثفة المشنكة اشداً كغصياً حتى لا يرى السائر ما امامه على  
مسافة ١٠ خطوات لشدة الظنهم . والارض هناك وحلية سوداء مكسوة بالاشواك  
او الاعتساب التي علوها نحو عشرة امتار وورقها في عرض الاصبع لشدة فوها  
وكثيراً ما تعترض هذه الاشياء في الطريق فتسده ويجني لدى السائلة .  
والرطوبة سائدة هناك ترتفع منها البخرة كريهة كان هناك جيباً منته . والجموع  
ذلك لا يزال اغبر شكائهم في العيوس فتصربها الرياح وتمرقها وتصب منها  
سبول المطر بعنف شديد . والذي يكون في تلك الارض يشعر بسقوط قوتو  
وثلاثي اعتصامه وخمول عقله ونحو ذلك مما تكره معه الحياة . وبعد ذلك ترى  
بعض الكواخ لامة خنيرة فقيرة ساقطة جداً سودان اندانهم هريلة جلودهم قاحلة  
ملاسهم بالية بكثرون من المسكرات . فهذه حالة افريقية الشرقية من خوطو  
الى اوزا حارا

ولما بلغوا نغوميرو مكثوا فيها من ٢٥ تموز سنة ١٨٥٧ الى ٧ آب وهي

قربة حنبرة كثيرة الامراض في وادي رطب لكن فيها محط القوافل وملئني  
الطرق التجارية . ومن ورائها ترتفع الارض بسوح متحدرة حرداء الى ان تنهي  
تخذ افرقية الوسطى فيصير الهواء طيباً

والسودان الذين في الاقطار المار ذكرها كالوارارامو والواخوطو لهم  
عادات واخلاق كسائر سودان افرقية الوسطى الا في بعض احوال والوانهم  
من الامر الى الاسود المحالك والوشم بينهم شائع وبحر حون وجوهم ثلاث  
جراحات من زاوية الم الى قاعدة الاذن ويصنعون من المعرة ودهن الحروع  
مرها يدهنون به شعورهم ويعملونه حلقات وخصلاً مختلفة الاشكال وعبون  
الوارارامو مائة قليلاً وابوفهم منطجة عريضة وشماهم صخرة باردة وذقونهم مائة  
فيها شعرات خفيفة ولباسهم ثوب قطي يسير الصف الاسفل يصغونه بلون  
اصفر وسخ كلون تربة ملاهم ويلبسون اساور وقلائد راحية ويعملون من  
الصف صتيعة لجباهم او يعلقونها في اقبنتهم وقد يعملون في معاصهم اساور  
من نحاس او قصدير . وللامتين المذكورتين ابي الوازارامو والواخوطو حلية  
خاصة يسونها بجويكو وهي قلادة عريضة من اللؤلؤة والحرر الاحمر والاصفر  
والاسود والابيض . والرجال لا يبحر حون الا سلاحهم وهو السادق والرماح  
والسهام المسمومة والسيوف والحناجر الطويلة يصنعونها بايديهم من حديد  
يشترونها من القوافل

واكواحهم مستديرة يعملونها من اوتاد يعرزونها في الارض ويشدونها بالطين  
واغصان الحيزران ويعملون لها سقفاً مخروطياً

ولهم عادتان ممتازتان توحدان ايضاً عند بعض امم الداخلية . الاولى الاخاء  
ويقولون لها "ساري" وذلك اسمهم يخالهون على المصافاة والتعاقد لاحتياهم  
الى معاونة بعضهم بعضاً في اكثر الاحوال . والاخاء عند الوازارامو ينصد به  
ايضاً اتحاد الصالح وحسم الخصومات وحماية الصغناء من ندي الاقوياء . ولا  
يكون الاخاء الا بين الرجال البالغين وطرق القيام به مختلفة باختلاف القبائل

فعند الوازارامو والواخوطو مثلاً يجلس الرجلان الفاصدان الاخاء على جلد حيوان الواحد بارام الآخر ويمدان ارجلها متداخلة بعضها بعض وبصمان قوسيهما والسهمين على الانخاذ بشكل صليب وباتي رجل ثالث ويبرز فوق راسيهما سيفاً وينطق باللغة على من يقض الهد ثم يذبحون خروفاً ويشوونه او يشوون قلمه ويأتون به للمناخين فيجرح كل منهما نطمة تحت السرة حرماً يسيل منه الدم على لحم الخروف ثم ياكلانه ثم يهدي كل منهما الآخر شيئاً من نخبه ويبقيان مرتطين بهذا الهد مدة الحياة والذي ينقص الاخاء يُتبل او يستعد بحسب الظروف التي تقضى فيها . وطالما استعاد العرب هباك من مواخاة السودان فيفصون لهم مصالح مهمة

والعادة الثانية التي نستحق الذكر ايضاً هي انهم لا ياخذون لنفسهم شيئاً مما يجذونه على الطريق وخصوصاً اذا كان لابناء وطهم والذي يجذ ضائعاً ويخص به نفسه يستوجب القتل او الموت او الاستبعاد . واتفق ان يرتون اصاع ساعته على طريق زنجومبرو فانته بها ملقوفة بورق السمات . ومع ذلك لا يكون هذا الاعتماد مانعاً عندهم للسرقات

ولما تجاوز الركب زنجومبرو وبلغوا الجبل انقلب الحال بهم حالاً وصار الهواء طيباً والجو صافياً ورالت الامراض كانتهم رقيت في الحال . لكن لم نطل لهم السلامة فانهم بعد مدة قصيرة دخلوا غياضاً وادغالا ومناقع كالتي مارحوها اولاً فذاقوا العذاب الشديد فصلاً عن الحصومات التي كانت متواصلة بين جود الحرس وبعض الركب وقل زادهم فاكلوا ما لا يطاق اكله وفسد الهواء واصابت برتون وسبيك حتى خبيثت ودخلوا معبراً من اشد الطريق هولاً يصلون منه الى نجد او حوجي وراء جبال روهيو

قال برتون بينما نحن نرتعد من شدة الحى قال لما شعنا صعباً في سغ جبل قائم فرايت هذا المسلك كسلم درجتها قطع الصخور واصول الشعر وكان رفيقي سبيك ضعيفاً جداً حتى كان ثلاثة رجال يسكون به واما فما احتجت

الا الى واحد فصعد الحمالون ذلك المعبر الهائل كأنهم قرود يتسلقون جدار هوة واما الحجر فكانت تعثر في كل خطوة وفاسيا من العطش والسعال والصنى عذاباً اليماً فمنما مدة وحولها صراخ الحرب في رؤوس الاكام والناس يزدحمون بسلاحهم ازدحاماً شديداً . وبعد ست ساعات من هذا العذاب المبرح بلغا راس الجبل فانتعشت نفوسنا بالهواء السليم وانتشرت صدورنا بماطر الحضرة وبهاء الجبال والادوية النضرة

وفي هذه التفة التي قطعوها باعظم العناء اصابهم وبلى آخر شديد الادي وهو لدغ نوع من النمل احمر ونوع آخر اسود اكبر من الاحمر فالنوع الاحمر يسير كالبحس الكثيف المزدحم ويتعلق بكل ما يعرض له بسرعة عجيبة واما الاسود فطول الواحدة مئة عقدتان ( من الاصبع ) ورأسه ضخمة ومنسراه متينان جداً حتى يمسك بهما الفار والجرد وهو يحب الاماكن الرطبة وجوار المياه وله اقدام غريب لا يهاب شيئاً ولا يفر من النار ولا الماء العالي ولدغته تكوي كالليرة الحماة واذا امسك شيئاً فلا يتركه بالقوة مطلقاً وهو عدو النمل الابيض المشهور بآفريقية ويسر بالاكل مئة وله عدو ايضاً من نمل احمر يصونه هناك بما معناه اللادغ الميت لان عصته مولى جداً . واما الذبابة المسماة صيصي فقد ذكرناها في القسم الاول من هذا الكتاب وهي منتشرة من حد صناف البلى الى صناف زمين

وبلاد او حوجي التي وصل اليها الركب بعد ان اخناروا شعب اوراجارا ممتدة في نحد فسمح على مسافة واحدة من الساحل وواوينا بيني وسكانها ثلاث امم الواراجارة والوحلية والواججو والتخ بكثري سهولها وترى الماشية في الهصاب حيث يكثري الكلا لكن يسطو عليها لصوص واروري . واهل البلاد يبيعون التجار عسلاً ولبناً وبيضاً وسمناً وكلها انواع غير طيبة ويكثر فيها دجاج فرعون ومن حيواناتها نوع من ابن آوى ايضاً ناصع كالفضة وفي سهولها الليل والرافة . وهذه تعمل من جلدها الثروس وعدد الخيل ولحمها الذيذ غير ان

وجودها قليل لكثرة صياديهما

وهواء اوجوجي معتدل مافع للصحة وانر في حماة رتون نانيرآ حسناً حسداً  
وعقلاً فاجناروا سهولة الارض الاكامية الممتدة من اوجوجي الى الثم الشرقي من  
اونيا موارى . قال رتون بعد اربعة اشهر ونصف من سيرها من الساحل  
وصلنا الى بلدة قازة وهي مركز اخص للعرب وقاعدة اونيا يمي التي هي اهم  
مقاطعات بلاد اونيا موارى . فاحسن العرب اناءنا بخلاف ما قبل لنا وكانوا  
لاسين الملابس الحسنة لم نر مثلاً عند غيرهم وقد مولى كل ما طلبت ولو  
بالاشارة ولم يقبلوا شيئاً وحسوا عرصي لبذل ما اتوني به اهانة . وكان  
اغنى رجل هناك تاجر مخرب يقال له سناء بن امير جمع ثروة من صامت وناطق  
وهو اغنى اهل افرقية الشرقية وكان قد اصاب الصحة فاضطر ان يقيم في قازة  
واله من المحارن المملوءة بضائع بين ثياب وتاج وحلى ومن العبد والماشية ونحو  
ذلك ما يحسب ضيعة راسها . واسانا احسن المواساة وقدم لنا حمالين وبكهل  
شاهيب بصاعنا وهياً كل ما يلزم ارحيلنا وافادني بحديثه المديد اموراً كثيرة  
فانه كان قد ركب بحيرة تنغامينا ودخل بلاد قراجوة واوحدة تنالي هذه البحيرة  
وعرف احوال تلك الامم وعاداتهم ولعائهم وكان كثير الاطلاع وله ذاكرة عجيبة  
ودكاء عظيم ومصاحبة وذلاقة لسان ولطف عشرة حتى عجت منه

ومدينة قازة معط الرحال للتجارة في افرقية الشرقية واقعة في قطار حصص  
سليم الهواء ومها تشعب الطرق الى رربار شرقاً وبحيرة يبارا ومملكة اوحدة  
شمالاً وبحيرة تنغامينا وبلاد اوجيجي غرباً واوروري جنوباً . واسينها حسنة  
موافقة لراحة السباح وقد استوطنها العرب منذ سنة ١٨٥٢ فعاسوا عيشاً هيناً  
رعداً وترسل اليهم الفانس من رربار وفي خدمتهم كثير من العبد والحشرات  
وافرة جداً في بيوتهم

وبلاد اونيا موارى طيبة التربة حسنة الفلاحة كثيرة الثرى حيدة المراعي  
يكثُر فيها القتر المسمن والماعز والعم والعيش هناك لذيد لصحة الهواء وحسن

المناظر وكثرة العصافير المعردة وشر الوحش واسباب الملاهي . وللنساء من العجوز الى الصبية عادة التدخين بالعليون بمعدن فيها لدة كبيرة وبحر حن الدخان من اوفهن ومن وقت الى آخر يرطبن افواههن بالدارة الطرية او نحوها ويتحدثن اذا تركن العليون احاديث مخملنة

والحيوانات في اوبيا مواري لا تختلف عن التي في اوزاجارا واجوجي في الادعال السهلية والحلمية اسود وقروذ ونور وضاع وهررة رية . وفي السهول الغيل والزراعة والجاموس وشر الوحش وفي الانهار التماسيح ورس الهر . ومن القروذ نوع يقال له بيالي او الكني الراس وهو في شمال البلاد منه احمر واصبر واسود وكله كاسر . ونوع آخر يسهونه يبيعا عنه كثيفة الشعر وسعره طويل اسود لامع وعرقه ابيض وهو شديد الاعناء سقافة حسده ويقول العرب بتاكيد انه اذا لحنه الصيادون يرق فرونه شدر مذر حتى لا يستبدوا منها شيئاً لانهم يصطادونه لاجلها واكثر مقامه الانتحار يفتات من ثمارها او اخلاصها الطرية . والعرب يذكرون ان في حوار اوبيا يبي نوعاً من الكلاب البرية ارتاعه نصف متر وله فروة قاسية سمراء داكنة وذنب طويل كثيف الشعر ويعيش طوائف كل طائفة من ٢ الى ١ وهو لا يعوي ويهجم على الاسان والحيوانات الكبرى

وسكان اوبيا موازي يظهر اهم امودح السودان في تلك الاقطار اوتهم اسير قائم هينتهم اعد عن هيئة اهل آسيا من هيئة اهل السواحل وتسعت من ابدانهم رائحة كريهة حذا وبرسلون شعرهم حتى يصير طوله اقل من متر ويبرمونه من الوراء حصلاً صعبرة لولية ويجمعونه على النود كندماء المصريين والحام قصيرة حنينة وليس في العارصين شعرة التة ويقتلون شعر شوارهم واهدانهم وهم اشداء طوال الاحسام تيجمان حشان الطماع . وشارة السب عديم ثلاثة جراح تمتد من الخواحب على الصدغين الى قرب الدف وتكون حرقاً مثل تلك الخطوط تمتد من الجبهة الى الانف والرجال بلونون هذه الحدوش

بالأسود والسماء بالاررق ويصفر على ذلك خطوطاً صغيرة تحت الاعين  
ويفرقون بين الثنيتين بسكين حتى تصير بينهما من الاعلى زاوية فارعة وكنهم  
يحاولون تطويل آذانهم

ولباسهم جلود الحيوانات الا الرؤساء والاغنياء فانهم يلبسون الفضة  
والاولاد يقنون عراة والصبيان تنق صدورهم مكشوفة والرضع تحملهم الامهات  
على ظهورهم واما الحلي فيرغمون منه اللائى الكاذبة ولا سيما الحمر والصبغة  
الشكل الكبيرة ويعلقون في فلاندهم حرراً وصدقات واسنان فرس النهر والذي  
لحيته كثيفة يعلق بها اولادهم . وفي اصابعهم يجعلون خواتم ضخمة من نحاس  
وفي معاصمهم اساور من اسلاك نحاسية مجدولة ويعلقون ايضاً احراساً صغيرة  
من نحاس وابايب من عاج . وفي الاسنار يتوتخون فرس جدي واذا اقاموا  
يبدلون فرس صغير فيه طلاس من بركة المحن

ومن عاداتهم انه اذا قرب وضع المرأة تذهب الى غيصة وتلد ثم تحمل الطفل  
معلقاً بمجد ماعز وتحمل ايضاً حملة من الحطب وتاتي الى بيتها . ولما نتم النساء  
فاذا انامت واحدة قبلوا احد التوأمين فتعوض عنه الام بكر يب ثلثه ونخسة  
منه من القوت . ومن عاداتهم في الميراث ان تركة الرجل تكون لاولاده  
من آمنه لان اولاده الشرعيين لم اقرباء فلا يملوهم . ويربون الولد على رعي  
المواشي فاذا بلغ السنة العاشرة من عمره سي راعياً معي فينخذ لنفسه كوخاً وبررع  
قطعة من الارض تبعاً وقد استقل

وعادة السات ان يقيم في بيوت آباءهم الى ان يدرك سن الزواج  
فيجنهن لمات كل لمة اثنتا عشرة ويسمون لهم كوخاً مفرداً وهناك يعشن  
على هوى النفس ويمتدنان لمن يجنار فليس ثم علاقات عائلية صحيحة

وفي كل قرية مجلسان كبيران احدهما خاص بالرجال يجتمعون فيه للهو  
واللعب والمسامرة والآخر للنساء . ويكونان احسن وامن ساء من سائر البيوت  
وفيها النفوش والطلاسم على الباب وغير ذلك من الامتيازات

## الفصل الرابع

في ما جرى لبرتون وسيلك بعد ذلك

في ٥ شباط سنة ١٨٥٨ ركب الفيروان طريق العرب قاصدين بحيرة  
تعايقا وكان برتون يشتهي ان يستريحها وفي هذه المرة وصف برتون احوال  
الفواصل التي تعاطى التجارة الافريقية قال . هذه الفواصل التي تحب شرق  
افريقية ثلاثة اصناف منهم من يكون من اهل اوبيا موازي حاصة ومنهم من  
العبيد الماموبين والماقون من العرب وقاقلنا من هؤلاء على الاكثر لكن  
الفرق انه لم يكن معا من اهل بيوتنا عدد يذكر . فوقت الحجر عند صباح  
الدبلك امرت نعتي العواينة ان يصرموا النار فلبوا في الحال وشرنا الشاي  
والقهوة ( عند وجودها ) واكلنا اقراصا معمولة بماء الرر ونحو ذلك وكان  
الحرس حينئذ يصرفون الوقت بالعناء وهم حول حلقين على نار عظيمة يتعاملون  
بالبول المحمص وشرب الشبع ونحو ذلك

وبعد ساعة اخذ الخمالون ينصرون من الرحيل وكانوا المارحة قد وعدوا  
بالتشهير صباحا لكن بعد حرّ النهار قرسهم البرد في الليل ولا سيما صاحبا  
فتسكوا الحصى . وكان كثيرون من العائلة اصحاب كسل وتوان وياتذون  
بالتمرّد والعصيان فاذا اتفق ان يكون رايهم الغالب يلتزم السائح الاقامة ولا  
فقد يتيسر له حملهم على الطاعة فيصبحون ويصمرون بالشبانات ويغنون



بالانفاق ويقولون هلا الرحيل . الرحيل . ارفعوا الاثقال احصروا الدواب  
وهلم حراً فياخذون في الناهب ويحمل رئيس الجمالة حملته ويرفع رايته .  
وتكون من حوخ احمر قد خرقتها الاشواك وهي حاصة علامة الآتين من جهة  
زنزبار

وبما يكونون في الطريق تكون حللتهم مرتفعة ما بين خصومة وغناء  
وصغير وتلبد اصوات الحيوانات وغير ذلك ويريد هذه الصحة رجوع الصدى  
من الوهاد المناوحة للطريق . وعند الصبح اذا وجدوا فيئاً يطوي رئيس الجمالة  
رايته ويضع النفير اشارة الى الاستراحة فيضعون الاحمال . واذا استطلال المسير  
الى الظهر يحمي الحرّ اولئك المساكين فيعيون

فاذا كان المساء لجأ كل منهم الى المكان الذي يجثأه العبيت ثم يستعملون  
في تهيئة الطعام فيلثم العبيد الطعام النهاية عجباً حتى انهم ياكلون في ساعة قوت  
اسوع . والذي ينسظم قول الداعي . الى الطعام . الى العلوفة . فيتراكصون  
بجمجمة شديدة

وعند طلوع الفجر يصربون الطبل فيجتمع فتيان القرى المحاورة والنساء  
حول المكان ويأخذون في الرقص والحركات التي يعملونها عنيمة جداً لكن  
الظاهر انها لا تنعمهم . وبعد ما يوتر فيهم الكل ينطرحون على الارض لينفسوا  
بنفس الراحة . ثم يجلسون فيأخذون غلايهم وينعمون حول الدار باعاني  
خاصة . وبعد ذلك ينامون وقد تسهر النساء الى نصف الليل يشعلن  
وتأتي يوم وصلوا الى قرية مسيى من بلاد اوسموة التي فيها مسيرهم وفي  
هذه القرية نمك القوافل التجارية لصعة ايام فآذتهم الامطار العربية ورطوبة  
البلاد حتى لم يلبعوا قرية قد شنتري الا وقد اوى المرض قوة رتوت وذاق  
عذاباً لئلاً من شدة الاوجاع في كل حسده حتى قال انه راي الموت عينيه  
ولم يستطع حراكاً وقد احس من رجله فلم يكن يشعر الا بوخر الاسر الكثيرة  
وخدرت يده خدرأ شديد حتى يس من الحياة وهو بعيد نحو شهرين عن

اهل الصاعقة الطيبة ولم ينه الى ااية رحله . لكن بعد عشرة ايام استطاع ان  
يركب حماراً وقص في الطريق مشاق لا توصف بين الجمال والادوية والادعال  
والانهار والحمر والبرد ونحو ذلك

تم قطعوا نهر ما لاجراري الذي يصب في البحيرة المنصودة وتخلوا عانة  
ولموا هصبة يمتد منها الطر الى مسافة بعيدة ثم غير الدليل خط المسير فجأة  
قال رتوت فمطرت في البعد وراء المصاب في محوة تساعة خطاً لماعاً لم اميزه  
لضعف بصري وما اعترض من الاتحار فسالت ما يكون هذا فبيل هذا ماء  
البحيرة فاسمت اشد الاسف على هذا العناء الذي تكلفته لارى قطعة خيرة من  
الماء وعمرت على الرجوع قاصداً ان ابلغ بحيرة بيانزا العلي اسلو روئيتها بعض  
انعامي . لكن تددت عرمي وقلت انقدم مسافة اخرى لارى ما تكون النتيجة  
فاشرقت نعمة من قمة اكمة على البحيرة المنصودة اي تعانينا فانجلي لذي منظرها  
الحليل العجيب فنزلنا في طرق متعرجة بين المصاب المستوعرة الصلة الى ان  
ابعدنا البحيرة فرايت بعض تباطها رملياً والعص مكسواً بالاشجار والخضرة وبني  
سججة صافية ررقاء تلمح المنظر ونهر الجمال من ورائها كالسور المنقطع بعضها  
اررق وبعضها ملطح بلطح بضاء من الصباب وبعضها معتنى بالسحاب وتنبهي  
عبد الشاطئ ، فارات ( اي اكام مفردة ) مستديرة ويدخل فيها منها راس  
مستطيل باني من ورائه نهر ما لاجراري وبيص مباحة الوحابة في البحيرة . ورايت  
فيها بعض جرر وحولها عدة قرى لكل قرية سائين وزروع حسنة والصيداودن  
يطوفون قواربهم على سطحها

وفو البسات هناك غريب واشتراك الاشجار والعشب والوعوج العجب فلو  
كان في خلال ذلك ابنة حسنة وقصور وما شاكل ذلك لكان مطار تلك  
القععة من الارض اجل والهج ماطر الدنيا . فانهج قلبي جداً بلوغني هذه البحيرة  
الجليلة الشأن حتى سببت الانعاب التي قصبتها في تلك القفار والمناقع الهائلة  
وكان كل الناس مسرورين معي حيثئذ حتى اخس العبد

وموقع هذه البحيرة بين الدرجة الثالثة والدرجة الثامنة من العرض المحموي وقرب الدرجة ٢٧ من الطول الشرقي من هاجرة غريوتس طولها نحو ٢٠٠ ميل انكليزي وعرضها بين الثلاثين والاربعين ماؤها عذب وفيها شيء كثير من انواع السمك لذيدة الطعم وعلى شاطئها الشمالي قبائل الواويرة والوارندي وعلى الجنوبي الوائمة. ومناطعة اوجيجي حيث وصل برتون وسيك على شاطئها الشرقي على مسافة نحو ٥٤ ميلاً من ساحل زيربار ومدة السفر كانت ٢٢٢ يوماً وفي ١٤ شباط سنة ١٨٥٨ ركب برتون وسيك وخواصهما فلكاً عربياً من قرية اوقارنجة فاجتاز بهم البحيرة في ثلاث ساعات الى قرية قاوولي اكر قرى اوجيجي فزلوا وانلقوا حثوراً عفيراً من السودان محدقين بانصارهم اليهم كانتهم مذهلون ومع ذلك يصحون صحياً عربياً ويتربون الطول ثم زلوا مارل العرباء على شاطئ البحيرة فكانت الرطوبة هناك لا توافق صحة السائحين فلم يتعافوا تماماً

وبلاد اوجيجي تحسب احصت تنوع في ذلك القسم من افريقية لكثرة نباتاتها وشدة نموها الطبيعي وكل النباتات التي تحتاج الى شغل في غير اماكن لا يتكلمون لها هناك شيئاً وهناك كل انواع الفول والمار افريقية تقصد من الاطراف وهناك ايضاً انواع الحيوانات الكبيرة كالغزل وقرس البهر والتمساح والحاموس وكلها كثيرة العدد ومن الكواسر الصع والكلاب البرية الوافرة جداً. والطيور المائية تعيش من سمك البحيرة. وتكثر الحيات والضفادع والغنار والنمل الابيض والاسود والعماك وكثير من الحشرات الكريهة والهوام فتتلا المارل حتى يكره الانسان الاقامة معها وزد على ذلك الدباب القتل للبهائم وهو الشبيبي

واهل اوجيجي اشداء السية حالكو السواد وايدهم وارجلهم عريضة جداً وحرركاتهم عنيفة قاسية ونظرم حاد وكل اطوارهم في عاية الحشونة والجفاء. والنساء يتصان بالوقاحة ان يدخلن منازل العرباء ويستلبن ما تنال ايديهن

ما يروق لظنهم . وكلهم يدهنون اندانهم بالزيت ووحوهم وشعورهم برعومها  
 بالمرة او الحواري فيكون مظهرهم من اسع ما يتصور ويستعملون ايضا الوتم  
 والروساء يحبون الثياب الملوثة ياخذونها من العرباء ناي وجه كان وساء  
 الاغنياء يلبسون ثيابا زرقاء او حمراء واما الفقراء فيلبسون جلود الحبوات الدربة  
 ولمسائهم منرر مسوح من لحاء الشجر . وحليم فلائد الحرز والعام والصدف  
 واساور وحوام فارية . والسلاح قويس ورماح وقسي كبيرة سهامها صمغ ثقيلة  
 والسادق بادرة الوحود ولا تكون الا عند الروساء

ومن طعمهم الوقاحة والرفاعة والطع والتهم على لغة العرباء واعمالهم واذا  
 خدموا العريب خذبة حنيرة يطالبون احرة فاحشة ولا يجترمون الصيف  
 ولا يراعون حاش الا سابية ويتعودون الشر والحماء من الصعر ويستعملون  
 العص والتعيس كالمرة الدربة ويكثر من شرب المسكرات والاطعمة  
 الوحمة ولا يبالون بالنظامة

وكان حاكم قاولي شرسا مستندا حافي الطع فاني بنون وسيل مة  
 خشونة عاقبها اياما لانه مع كل احداں بركهما فلكننا لاستقراء المخيرة وفي  
 تلك المدة تحسنت صحتها واحيرا اتجهما في قارب الى جزيرة قيورة حيث يقيم  
 رجل عربي اسمه حميد بن سليمان فاعطاهاما تهنورا يطوفان بها

وقال سيك كانت تلك العاقبة مفيدة لصحتي لاني كنت اواطى على  
 الاعسال والتبزه بالهواء الرطب مساء وصباحا . ومن عادتهم انهم يضعون في  
 المكان الذي يعتسلون فيه من المهر فروعا من شجرة خاصة يعررونها في نعر  
 المهر على مسافة خمسين بردا من الشاطئ ويجعلونها كالحظيرة ويعتقدون ان  
 التماسيح لا تدخلها لانهم يحسبوننها طامسا

وكنت وقت الظهر آخذ تمسيتي واقصد السوق لاستبدال الصنائع ونفام  
 السوق من قبل الظهر ساعتين الى العصر قرب الميا . يسون بعض اكواح  
 من اغصان وفروع ثم يقو صونها كل يوم . ويبيع في السوق السمك واللحم والنبع

وريت النخل والمسكرات والمطاطة والمحرشوف والفول وقصب السكر وكثير  
من البنول والعاج والعبيد

وفي ٢ اذار ركب سبيك رورقاً مصوغاً من حدع شجرة مقور وكان  
يصحبه عشرون رجلاً ففصوا اول ليلة عد الشاطئ تحت المطر الشديد  
والهيار بعدها كذلك ثم تقدموا على الشاطئ العربي من البحيرة وكان الساحل  
هناك مستوعراً كثير المضايق والادغال وهي محيطة بالنقطة الشمالية من البحيرة  
ومثل ذلك عند مصب النهر وهناك التماسيح وافراس الماء بكثرة كانت تنظر  
اليهم نظراً جامداً وهي تنهمق ونفخ حنفاً

ثم احتاروا عرض البحيرة ولعبوا مجموع جرر قرب الشاطئ العربي  
اكرها قبويرة ثم قاسحة وفايزية وطول قبويرة خمسة اميال وعرضها ميلان  
وهي كثيرة الشجر والسكان وتكثر فيها الدرة والبطاطة والطير واهلها يلبسون  
خلود الفروود السود والهررة وغيرها يتدوهمها ربار على وسطهم ويجمعون جلد  
الراس يتدلى من الامام والذنب من الورا . وهم من التطفل على اعظم حاب  
فوق حشونهم ثم رجع سبيك ولم يتيسر له استئراء الوحد الشمالي من البحيرة فعزم  
رتون ان يفعل ذلك وقد سمع الناس يقولون ان نهراً كبيراً يخرج من تلك  
الجهة وينج تمالاً ونعب حداً مع الحاكم حتى اعاره رورقين على شروط فاحشة  
فكان في احدهما رتون والحاكم و٢٢ رجلاً للتخفيف وفي الآخر سبيك وجماعة  
من النوبة وقصدوا المضي الى سوق عويرة في جهة الشمال العربي من البحيرة  
حيث يغير العرب بالعاج والعبيد . فمروا على الشاطئ الشرقي الى جهة الشمال  
وكان الساحل كثير الجمال والحصرة ومن مسافة الى اخرى تصب مياه السهل  
الى البحيرة من محلات الادوية البديرة وهناك منازل خيرة للصيادين مبنية  
على شكل خلايا النمل وليس في المنزل الا الثلاث الاثاني وحصير بنام عليه  
اهله . وهم يجلسون وقت الراحة في ظل الشجرة ويعلقون فيها شاكرهم  
وعادة النوبة هناك انهم ما داموا سائرين يلازمون الغناء والصغير وضرب

الدوف فيكون لهم صخب مرعج ألا اذا جاس ماء البحيرة بالريح فيصمتون ولا يحسنون التخفيف وايدتهم ثقيلة بحيث يثقف المخذاف الماء الى وسط الفلك فيبال ركانه وكثيراً ما اشار عليهم سبيك وعلمهم كيف يقومون حركاتهم في التخفيف يلم بالواو وكانوا نارة يجذفون بعنف شديد حتى تستط قوتهم ونارة يتناولون حتى كانهم يتساون تحريك المخاذيف . ونارة يتصادم الفلكان فينشأون ويتهاترون ويقذفون الكلام الحشن المالموف عمدهم وفي فترات كبيرة كانوا يقصون الوقت للاكل والشرب والتدخين وكلما سلعوا قرية تقع بينهم الخصومة لان العص يريدون الوقوف والعص يطلون المقدم ويكون رئيسهم حالسا في احسن موضع من الملك لا يقوم بامر ولا ينهي الا نادراً فاذا دنا الملك من الشاطئ يتواتب الدوتية من غير ان يسنادوا . واذا قصدوا المبيت في مكان يترقون بعضهم للاحتطاب وبعضهم في طلب الراد وبعضهم يسون الاكواخ من اغصان الشجر وسنائف اللحاء على هيئة نصف دائرة ويسع الواحد خمسة اشخاص الا ان ارحلهم تنق حارحاً . وبالاختصار لم يكن لهم في اعمالهم قانون قال برتون وفي ١٩ ادار احتزبا البحيرة وبلغوا الساحل الشرقي من حريرة او واري ثم دربا حول النسم الشمالي من البحيرة واقما يومين في الساحل العربي بين الرياض والحائل . وكما سمع ان الناس هناك ياكلون لحوم البشر فعلمنا ان ذلك ناتج عن شدة المافقة والكسل في العمل وجهل الرعاية مع ان الارض شديدة الخصب ويلجأون الى اكل الجردان والرواحف والحشرات ياكلونها بيئة لشدة كسلهم وهذا يدل على انهم لا يامنون من اكل لحم البشر شيئاً ايضاً وهم في اسفل درجة من سلم الاساية ياكلون الجيف وجثث الموتى اكثر مما ياكلون اللحم الحي

وفي ١٦ امنه قطعاً ورعاً آخر من البحيرة وبلغنا عوبرة على شاطئها العربي فوجدنا اهلها اصحاب انس وعواصاة الغريب فازدحموا علينا فرحبوا وسلموا بالاصوات والآلات تسليماً عظيماً فكافاهم اصحابنا بمحملة رقص وغناء في حيز

الرزازة والوقار وهكذا بلغنا آخر محطة تجارية من ذلك النظر فربما هناك  
العاج والعبيد بكثرة بوتي هذه الصناعة ونحوها من أواسط افريقية وتدل  
التبع والمحز والنياب الأوروبية. وعلمنا شيئاً من الموانع التي تعترض التجارة  
في خرقهم ذلك الحد

وفي ٢٨ نيسان راربا اولاد السلطان مارونا الثلاثة وكانوا تسافراً ظرفاء  
استدء ولم رشاقة في الحركة المدنية ونظام في الهيئة والاعضاء وعيوب برافة  
واستنان كالآلآء النقية وفي اعماقهم ومعاصهم قلائد واساور من عاج فسالتهم  
عن النهر العجيب الذي يخرج من اعلى البحيرة فقالوا انه موجود لكن يدخل  
اليها وقد راوه ووافهم المحاصرون بشهادتهم

فتعجب رنتون من ذلك وكان يظن ان ذلك النهر من حملة يباسع النيل  
ماحتهد كثيراً في اقناع رفاقه لينتدملوا الى ذلك الطرف من البحيرة فلم يقدروا  
وقالوا لهم بمخافون من آكلة لحوم البشر وحشوتهم هناك فعادوا الى قاولى  
ووصلوا في ١٢ ايار بين العوارض الشاقة. ومع ذلك افادت هذه السمرة رنتون  
وسبيلك في صحتهما وان كانت قليلة المائدة في مقصدها وفي ٢٦ ايار بعد  
انقطاع الامطار حرجا من اوجي التي لياها استد العماء وقصد المسير في  
طريقي فائزة وبلغاها بعد ٢٦ يوماً بين الهم والكدر من تصرف الجماعة اي  
الخصومة والغور والشرد والعماد والعصيان والفتن والشعب وهم حراً

وكان من حملة من صحت الجماعة حاكم اوبيا موارى وقد تآخر عنهم لانه كان  
قد اشترى امة سوداء فاتفق ان حرجت رحلها في الطريق فلم تقو على  
المسير وراى انه مضطر الى تركها فنقطع راسها لئلا تكون لاحد غيره

ولما بلغوا قارة اقاموا اياماً للاستراحة ولفوا الحصى من صياقة العرب  
ولاسيما الفاضل ساء من امير. وكان المرض قد احبب الجميع وعجز رنتون  
عن المسير واما سبيلك فكان قد تعافى بعد ارادة الرحيل فعزم ان يصحب  
مجموعة قليلة في الجهة الشمالية من فائزة ليكشف خبر بحيرة يسميها العرب بمانزا

ويقولون انها اكر بكثير من نعايقا . فتخص في ١٠ تموز  
وكان طريقه في خط شمالي مستقيم في نحد سليم الهواء ارتاعه عن البحر من  
٢ الى ٤ الاف قدم وفيه من المقاطعات اوبيا يبي واوبيا مبيوة وامدة وسلاوى  
واوسوقوما والارض هناك منها سهول ومنها جبال ومنها وعور ومنها رمال  
ومنها احراش ومنها مراعي وهلم حراً واهلها عديدون اشداء

وحينما صاروا في بلاد اوسا حاري التفتوا فافلتة اخرى آتية من جهة البحيرة  
وسلم الدليلان احدهما على الآخر تسلياً استعربه سبيك وذلك ان العادة عندهم  
اذا التفت فافلتان في طريق واحد ان يتقدم احد الدليلين الى الآخر ويتباطأ  
كالكباش حتى ينع احدهما فينبع الماس صحكاً وترفع الحيلة ويجيد عن الطريق  
الفيروان الذي علب دليله حتى يمر الفيروان الآخر

وفي بلاد مسلاللة توجد مناظر طبيعية جميلة ومراعي حصنة تسرح فيها  
قطعان الغنم الكبيرة واهلها عدد غفير . وبلاد اوحوحو الواقعة على طريق  
الفاصد الى اوحيجي موصوفة ايضاً بكثرة السكان لكن يكون السودان على  
حامي الطريق مردحيين اردحاماً عظيماً حتى لا يمر ابناء السبيل الا بجهد لكثرة  
تظلمهم وذلك لانهم قلما يرون رجلاً ابص فيدهشون اربعة من يمر من هناك  
من البص

قال سبيك ولما فارتنا قرية من متاظة سلاوى في ٢٧ تموز رايما بعنة  
عموداً من الصخر الجوبي شديد الارتفاع وعند اسفله قطع عظيمة من الصخور  
فتمحمت من هذا المطر الطبيعي وكيف وجد بهذه الهبة في تلك الافطار . وبعد  
ان سرنا غاية اميال رابت عموداً آخر اعلى من الاول تجاوز كل الاتجار المحضة  
به . وقد اتخذنا هذين العمودين دليلاً اميناً الى مسافة تساعة من الطريق  
لانهما يشاهدان من بعد ثمانية اميال

ولم ير الى يتقدمون في تلك البلاد الحصنة المصرية الشاة المماطر الكبيرة  
السكان والحيثات عدة ايام وفي ٢ آب تجاوزوا قرية ايساميرو وبلغوا حصنة



سماها سيك سمرست

قال فلما رقبنا قمتها وقع نظري على بحيرة نياسرا الفسيحة الجواب الجميلة المنظر  
ولشدة بعد الافق لم اقدر ان اقدر سعتها ولم ارا ايضاً طرفها عن شمالي لا عن غرض  
مجموع جزر شامخة سميتها ارخيل نعال ارتفاعها عن سطح البحيرة من ٢٠٠ الى  
٢٠٠ قدم واما عن يميني فليس الا حريرة اوقير يوي تكون آخر ما يعترض  
المنظر من جهة الشمال العربي وهذه الجزيرة وحريرة مزينة العين عنها نحو ثلاثين  
ميلاً تظهر انهما الساحل الشمالي من الفرع الشرقي من البحيرة وكما يعرف اسم  
الاولى لان العرب دكروا لما البحيرة باسمها والناية اكبر منها وتشكلها كظهير  
الخنزير . والشمير يكثر في كل تلك الجرائر وتظهر قطع الصخور بين الادغال  
كالحوم وتنعكس صورة كل ذلك في ماء البحيرة الصافي فليس احتمل من تلك  
المناظر الابقية

ورابت السهل العظيم تحت الهضبة التي كما عليها مهرشاً بالخمائل والحدائق  
والنرى متورة فيه بين الساتين النصيرة والخرق بينها كماها الماشي في روضة  
لندن . واول قرية لعناها قرية موازنة وكانت غاية سربا وهي في مرج كبير  
الرروع حسن الملاحه

ولكن كل تلك اللذة الطبيعية الحسية لم تقارب لذة فكري بشأن الفائدة  
الجغرافية والتجارية التي طالما اجتهد الناس في الحصول عليها اي تصوري ان  
هذه البحيرة هي ينوع الهر العجيب ( اي النيل . لان سيك حاول اظهار  
كون النيل الابيض يستقي من هذه البحيرة الكبيرة التي اكتشفها )

ولكن اسو حظ هذا الرجل وحط العلماء حينئذ لم يصادف اساً ولا مؤساة  
من حاكم قرية موازنة لمحبة طواف البحيرة نعم انه احسن ملقاء لكن لم ياذن له  
ان يركب فلماً ويدخل حريرة اوقير يوي ولا التطواف في قسم من البحيرة  
فاضطر ان يكتفي بتقريبات الاهالي وتجار العرب . فذكروا له ان البحيرة ممتدة  
شمالاً الى مسافة شاسعة جداً حتى قالوا لانهاية لها ويخرج منها نهر اسمه قيروبرا

يجري على الصخور حرباً شديداً متجهاً الى النيل فاستنج سبك ان هذا النهر هو عين النيل والصحيح انه لم يصب في رايه. وان على شاطئها من جهة الشرق بلاداً لا تعرف ارضها ولا اهلها. ومن جهة الغرب تتواصل الجبال التي تنصب مياهها الى بحيرة تنعائفا شمالاً والقوافل العربية التي تسير من قازة لتعبر في مملكة قراغوة وواحدة تمر في بلاد دات هصاب ووهاد وافرة الزرع والصرع تشتهر انهار كثيرة وتنصب في بحيرة بيانزا

ومملكة قراغوة كثيرة الرطوبة والامطار فيها فصلان وتسلطن فيها ريحان كما في اوياماري الاولى مردوجة تنالها وتعالها شرقية واسمها عديم قسناسي. والناحية الجنوبية تصحبها الامطار العربية واسمها قوسي ويكثر معها الرعد والبرق ويباشرون الرع في اول وقوع المطر كما يفعلون في مسبي واوججي يعزفون اولاً الارض الى عبق ويررعونها ذرة صفراء وحاورساً وغير حبوب واما الرز فلا يعرفونه اكثر زرعهم الذرة ويررعون ايضاً نوعاً من البن الهندي اسمه موامي ويكون مرّاً حفيظ الست. والبول ايضاً صعبير الحب حذاً. وهذا البن لا يستعملونه استعمال العرب للتهوية بل يطرحون منه قصعة في الماء العالي ويشربونه اذا انحل منه جوهره. ويقول العرب هناك انه مهيج حذاً ومرطب وطعمه قريب من طعم فول محما

والفر عديم لها سام صعبير وقرون كبيرة كما في اوججي وعويرة ويعدونها بحساب الثيران الواحد منها بمائة مائة نفرة وكان للسلطان حينئذ ٢٠ ثور عمارة عن عشرين الف نفرة. والماشية اساس روية الاهالي واكثر

طعام الاغنياء لبن الفر مزوجاً بعسل الجبال

وتوالي قراغوة بعد اجنيز نهر قانتجا يصل المسافر الى قرية قيبوحا فاعة مملكة اوحد وفيها مقام الحاكم وهي محط رجال العرب الاتيين من قارة نحو الشمال. ويقولون ان هذه البلدة اي قيبوحا مسيرة يوم طويلاً ومنازلها منية من النصب والقسا. وطول دار السلطان كيلومتران مولدة من الكواخ مستديرة

مصفوفة صفوفاً وإمامها سور من الأوتاد لثة أربعة أبواب على كل باب حرس  
يُدقّ عند قدوم الأحاسب وعليها مئات من جنود الحرس عليهم أربعة رؤساء  
يبدلون كل يومين ويبستون الليل تحت الطُرف أي الخيام من الأديم ينتظرون  
أمر الملك ويدلون حياتهم في خدمته

والحرم مولف من ثلاثة آلاف شخص بين نساء وأماء وأولاد ولا يحسّر احد  
أن يتجاوز البرزة وهي قاعة الملك للاستقبال وإحراء الأحكام والطر في الهدايا.  
قيل وكثيراً ما تحرق الصاعقة منارل الملك فيلزم الجنود أن يطفئوا النار  
باحسادهم بطرحون وينقلون عليها حتى نحمد. وعدد الجيش لا يكون أقل  
من ثلثمائة ألف وإذا عرض يجب أن كل حديّ يقدّم بصّة. ولكل منهم ربح  
وحرثان ومرراق وترس وأيس هناك سيوف ولا قسيّ

وإذا مشى العسكر للحرب نعتة النساء والأولاد بالراد والماء والسلاح.  
وإذا اشتبك القتال يضربون الطبول صرّاً مستمراً محملاً ينقطع صوتها بهيرون  
ولا يزال أهل أوجدة في الفس مع حيراتهم الوايورو والواسوطة وغيرهم وإذا  
خمدت نار الحرب مدة يحاول الملك وحود علة ليكنتم بعض البلاد ويبعث  
وبهيب ويقتل ويسرح حتى يملأ خزائنه من الغنائم. ويكثر من التل صرّاً  
حتى تكون أيام يقتل فيها كل دفعة عشرون شخصاً معاً

وكثيراً ما يخرج الملك للصيد ويلزم حوده أن يفانلوا الوحوش بلا سلاح  
ويعلموا الغيل بكثرة العدد فقط وإذا دخل قرية يصبح صيحة فيحييه أهلها بأصوات  
المير والشماعات ونحوها من الآلات

وأحر ملك على عهد رتون وسيلك كان يقال لثة سنة مات سنة ١٨٥٧  
كان يكنز من عرض عساكره الحرارة ويجلس على باب بلاطه ويده إلى  
حرية والبسرى سبر مربوط فيه كلب صم الجئة وكان يحب صراع حنوده ولا  
يرالون يتصارعون حتى يقتل بعضهم وكان ينجو حظيرة بررب فيها الساع  
والفيلة وإذا حكم على أحد بالاعدام يطرحه لديها فترقه وتهترسه. وكان يحب

كل ما فيه غرانة

ويقول العرب انه كان احمر قوي النية مهيب المطر يخلق رأسه ويرجي ذواته ينظم فيها الحرر واللولو ونحو ذلك . ولا يسمع بذلك لغيره . ومن ماموري بلاطه الشحنة يتصرف في امور البلد ويسود على اصحاب الولايات ومهم القائد الاعظم تحت امرته جنود الحرس والعبيد والعسكر ووثاء اللطاف والقضاء في العاصمة بيد الملك وفي الولايات بيد بوابه . والنصااص عديم عرامة او قتل ليس الا . والذي يحكم بقتله اما ان يصربوا عفته او يجرقوه او يسلموا جلده حياً . واذا مرّ احد المخربين تحرب قريبه كلها ويدمج رجالها وتقتل نساؤها

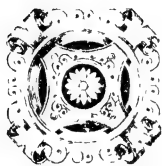
وليس لاهل تلك البلاد شيء من المظنة والهم وانق يوماً لسبيك انه جعل يسأل احدهم عن امور بسيطة كاسماء الاعداد والبلاد ونحو ذلك فنصى الاعداد من قلة فهم وحسوبة طبعه وذلك يظهر ما ياتي

قال اردت يوماً ان استنهم عن هذه الامور فكان الكل يترّون مني او يشون كاتهم صم كم فسالت واحداً عن اسماء الاعداد في اعينهم وقمت له اسبع يا اخي نحن نسي الاشياء بلغة الساحل بحسب ترتيبها هكذا واحد اثنان ثلاثة الخ وجعلت اشير باصبعي الى بعض اشياء موضوعة بترتيب لعلهم بهم ما اسأله فكان يقول لي . هو هو . نحن نقول اصبع . فقبل له ما هد ما يسالك الرجل الابيض بل يريد ان يعرف ما تشون الواحد والاثنين الخ فيقول واحد اثنان ثلاثة اي شيء . من العنم ام المعرى ام النساء فقال الترجمان اي شيء كان ليكن والمراد ان يعرف كيف نقول واحد اثنان ثلاثة بلغة وابوقا . فقال هي هي . وما يريد الرجل الابيض من الوابوقة . وهكذا بقيما مدة لا تعرف ان سمه المراد لشدة غباوته

وفي ٢٥ آب رجع سبيك من رحلته وقال برتون واخبره انه راي معس النبل فلم يصدق وطال الجدل بينهما حتى قصدا الذهاب معاً ليتحققا الامر

فجهرًا قبر وانا وسافرا وقصيا مشقات كثيرة وهرب كثير من العيد وراد نسيكي  
الجمالين وتمردهم واصابت الحمى سبيك في قرية حجة لشدة برودة الهواء الشرقي  
وصمت احدى اديبه والنهت احدى عينيهِ وانفخ وجههُ واستولت الاوجاع على  
جسده وكانت النوب شديدة جدًا حتى خيل انه حن وتغير حدًا حتى قيل  
انه لا يعيش وبقي بصعة اسابيع حتى تعافى شيئًا

وفي ١٢ تشرين الاول حرقوا من حجة التي كانت نحسًا على سبيك ليرجعوا  
الى الساحل وكان ذلك خاتمة هذه الرحلة المهمة فمضوا من اوجوجوا الى زنجوميرو  
في ١٩ كانون الاول وفي ٤ اذار سنة ١٨٥٩ دخل مرتون زيربار ومهما  
مضى في ٢٢ اذار الى عدن ورجع الى اوروما . واما سبيك فبلغ انكاثرا ولم  
يشفِ عليه فكتب رحلته ورجع ثانية لاكتشاف بحيرة بيانزا وينابيع النيل .  
وهكذا كانت رحلة مرتون وسبيك من احل الرحلات شأنًا واعظمها فائدة



## الباب الثالث

### في البحث عن ينابيع النيل الابيض

— — — — —

### الفصل الاول

اهمية هذه المسألة - الهمر الابيض - خرطوم الرحلات المصرية  
- برون رولى - النجار والمرسلون

اشترنا في القسم الاول من هذا الكتاب اشارة خفيفة الى اهمية المسألة المتعلّقة  
بإكتشاف ينابيع النيل . وفي هذا الباب رأينا ان بشرحها ترحاً مستوفياً . فنقول  
ان هذه المسألة قد شغلت خواطر العلماء منذ أكثر من عشرين قرناً غير ان  
البحث حرى فيها محد وبشاط منذ نحو نصف قرن  
وكان هيرودوتس المورخ اول من تكلم فيها ثم تبعها بطليموس بعض  
البيان واشتغل بها قيصر الروماني وجيولافو العرب والبرنوعال فكثرت عن  
مقدرة البشر وزادت اهمية في خلال الاعصر الماصية . وقد سبكت دماء كثيرة  
وهلك في شأها جمع غفير من المعرّزين بانفسهم ومع ذلك لم يصعب عزم اولي  
البسالة ومحيي المعارف ودلوا الجهد وخطروا بالنفوس والمال وما اسكوا حتى  
حلوها في السنين المناخرة

فهذا الهر العظيم الجليل الشان هو السبيل الوحيد لسلوك التمدن في  
اقطار افريقية الوسطى . فيه انصل المرسلون الكائنون اليك الى قرب خط الاستواء  
وبواسطته عرفت القبائل الكثيرة البربرية وعوائدهم واخلاقهم واعمالهم وهلم  
جراً وقد وجد المباحثون السابقون تقدمهم في البلاد ان النيل محاري كثيرة  
تمص اليه من اكثر جهات افريقية الوسطى بعضها يتصدر من بلاد الحمشة  
الحالية وبعضها يشق الليافي جنوبي دارفور والهر نفسه يتقدم كثيراً نحو الجنوب  
وهذه الجداول المذكورة وسيلة للانصاليات التجارية في تلك الانحاء . ومن احص  
اصناف تلك التجارة العاح والصنع وحاصلات الاقطار المدارية وكلها تنبع  
فيصاً على السودان ومصر . وكل نعمة اكتشفت على صفاء النيل كانت واسطة  
نجاح عظيم للتجارة حتى اذا قام بها الناس حتى القيام تكون من اكبر وسائل  
الجماع الادبي والمادي عند تلك الامم . وقال سيبك اذا كان النيل يشق خنيقة  
من البحيرات الكبيرة التي يكثر في انحاءها النطن والنيل وقصب السكر والبن  
والنوع والماشية الوفيرة من ثمر وعمر وعبر ذلك فلا بد ان السياحة في المستقبل  
في تلك الاقطار تاتي بنوائد حمدة

والنيل اصلان عظيمان كما هو معروف الآن بمخضعان في الدرجة ١٥  
والدقيقة ٢٠ من العرض الشمالي فالشرقي منها يقال له البحر الاررق وهو  
معروف معرفة جيدة يتصدر من جبال الحمشة وينزل بتللات كثيرة الى سهول  
السودان الشرقية فيأتي بالخرى الجنوبي وهو النيل الابيض . وكان الاوروبيون  
لا يعرفون عنه شيئاً حتى سنة ١٨٤

وكان العلامة روس قد وصل الى ببايع النيل الازرق سنة ١٧٧٠  
ووصفها وصفاً مدقناً لكن سبقه الى ذلك راهبان رتو عاليان اسم احدهما نابير  
والآخر لوبو . فإراد روس ان يخصص نفسه دونها ليعمل هذا الاكتشاف  
وطعن فيها وافسدا ما كتبه ونسب كل شيء صحيح الى نفسه لكن ظهر الحق بعد  
ذلك وعرف ان الفضل كان لنابير

وعلى ملتقى النيل الاررق والنيل الابيض قائمة مدينة الخرطوم . وينتشر  
 الهر بعدها حتى يكون كالبحر الراكد يشقّ عن زرقة الجوّ وأشجار ضفتيه  
 واذ كان موقع الخرطوم اجل مواقع المدن السودانية والبيلية كانت اهميتها  
 التجارية تدعو الى ازدحام الاقدام بها فيوتى اليها بالنيل الازرق بمجاولات  
 سار والحشة وكردفان وغيرها والنيل الابيض بمجاولات افرقية الاستوائية  
 فتكون السفن عندها مائة الهر في مسافة اربعة كيلومترات ومنها نوع يقال  
 لها الذهبيات وهي كبيرة بيضاء الفلوع تفيض بها العاج وقرون الكركدن  
 والصنع والقطر ورمل الذهب والسا والاششاب الثنية وريش البعام وجلود  
 البقر والذرة والعبيد . فترى من اللباس هناك اشكالاً والمأوى سودان  
 وعرب وافرنج ومصريين على اختلاف اربائهم وهيئاتهم . وحول المدينة على  
 الهر سائتين نضرة ساعة الظلال كثيرة الاطيار طيبة النار بين عنب وتين  
 وايون وغير ذلك وفي الهر هناك جرر صغيرة يررعون فيها النواوون  
 والطيج ونحوها

وفي الخرطوم جهزت الحريدة الاولى المصرية بامر محمد علي باشا فرحلت  
 الى جهة الجنوب في ١٦ تشرين الاول سنة ١٨٣٩ . وكانت مؤلفة من اربعمائة  
 رجل من العسكر المصري المقيم في سار . فركبوا من السفن خمس ذهبيات  
 كبيرة ارسلت من مصر وثلاثاً اخر اخذت من النيل الازرق وخمسة عشر  
 رورقاً فيها الدحيرة ولم يكن معهم من الاوروبيين الا رجل واحد كانت الرحلة  
 محصورة به واسمه تيوفلم يصادفوا نوحاً ولا اتي هو مؤائد جغرافية تستحق  
 الذكر . لاهم سافروا في ايام شديدة الحرّ ونكلوا بصاريف فاحشة فاضطروا  
 الى الرجوع قبل بلوغ الدرجة السادسة من العرض . لكن عرفوا بهذه الرحلة  
 حجة محرى الهر والاقطار التي يسفها . وذكر بعض مقدميهم انه اجتار بلاداً  
 قليلة الجمال ترى فيها نارة غياض كبيرة ونارة سهول فسجية مفعية كثيرة النصب  
 والاعشاب العالية . وعلى صفتي الهر في تلك البلاد قرى مخجلة المنازل



باختلاف الفئائل . وبعض اولئك الفئائل اصحاب طمع وحرص وتزهد  
وخبت كالشلق والوَر والعُض اصحاب دعة وسكينة ومواساة للعرماء

وكان الجلود المصريون حينئذ يحرقون السودان لدناءتهم وحفارتهم  
فاساؤوا التصرف معهم وظلموهم وجاروا عليهم في ما يملكون حتى نزع المساكين  
بعد ذلك من مواصلة البص حذرًا من مثل هذه الاساءات . قال نيسو في  
ذات يوم اتانا هؤلاء القوم يلتم كثير وتعبوا ومعهم رماح وسهام وكان بعضهم  
يرقص فقال الترجمان ان لهم نوابا سريرة فكان قوله كافيا لان يذل فيهم  
الضيف ويطلق عليهم الرصاص فقتل كثيرون وفرت شذمة قليلة الى القرى  
المجاورة فقتل العسكر في اهل القرى وعاص كثيرون منهم في بحيرة هناك  
فرموهم بالرصاص حتى استحال الماء دما وغشي سطح البحيرة عدد وافر من المحت  
وفي ه شاطئ خرج الترجمان سدقته للصيد فرأى رجلا ومعهُ اسان له  
عمر الواحد نحو عشر سنوات والآخر اثنا عشرة وكانوا ينجسون الديو من  
الرواق . فصاح بهم الحدي فما احاسوا فاسرع الحطى حتى ادركهم فقتل الاب  
واسر الولدين وهما يوحان

وفي ٢٢ مة رأى بعض الجنود رجلاً وامرأتين حاملين على رؤوسهم مراود  
فدنوا منهم وقتلوا الرجل وسبوا المرأتين

وبعد هذه الرحلة ظهرت جريدة اخرى لاكتشاف ينابيع النيل وكان  
فيها جماعة من الاوروبيين من حملتهم اربود وساتني وورن وهم الذين كتبوا  
التقارير الواقية عن تلك الرحلة . فصعدوا النيل الابيض في ٢٢ تشرين الثاني  
سنة ١٨٤٠ . احد عشر فلكتا كماراً وقطعوا مسافة ٢٢٠ ميريامترا وبلغوا بلاد  
باروشيري الى الدرجة الخامسة من العرض الشمالي . فارتفعت الارض هناك  
وتعيرت المناظر وكانت الادعال كثيفة على صفتي النهر والارض كثيرة الهضاب  
والسهول والبروج والقرى . فكان الاهالي هناك متمردين لكن احسوا الى  
الجماعة وقدموا لهم لحما وعاجاً وذرة وبوغاً من الشراب يسمونه جابا (اعلمها الجمعة)

وأمة الباري هذه طوال القناعات صخام الاحسام لا يلبسون شيئاً من اللباس  
بدنهم بالمغرة ولباسون حلى العاج والحديد الا ان زعيمهم لباس قبيصاً من  
الحام الازرق . وهذا دليل على ان لهم اتصالاً وراة الجبال الشرقية مع تجار  
العرب الآتين من ساحل زنجبار

وكان الاهالي لما راوا العراء قد صاحوا وشعوا بقرون شر الوحش  
فاقبل زعيمهم المذكور وهو بهر رأسه وعليه عتكولة كبيرة من ريش المعام وصار  
برقص والحماة حوله يعملون فعله وهم يصيحون ثم نزل ذلك لابرهب منكراً  
واخذ ايدي رؤساء الجند وكان بعض اطراف اصابعهم علامة الاحترام ثم طلب  
اليهم ان يقدموا له شيئاً من الخبث على سبيل التكرمة فقدموا له ثياباً جراء  
ولآلىء كاذبة مخملية الالوان وحرساً صغيراً كاد يطير سروراً بترديد رنوه  
واطعموه شيئاً من التمر واحسوه على طمسة فلما ارتحل احد الطمسة في جملة ما  
اخدمهم ولم يبعوه . و ارادوا ان يتما سيرهم في المهر الى ما وراء الجبال فاعترضتهم  
في محراء صحور كبيرة شائعة لا يركب المهر بينهما فرجعوا

ثم كانت رحلة اطول و أربود امادي سنة ١٨٤٦ الى جنوب الحشة  
فاجملت بها غوامص كثيرة وبعد ذلك حصلت وسائط كثيرة انضج بها هذا  
المرتب شيئاً فشيئاً وعرف نلاع البيل الابيض لكن لم تكشف مناعه معرفة منيرة  
وطهر سهلاً المسير فيه الى قلب البلاد المار ذكرها الكثيره الحصب الواقعة  
الحقوبات . فافتدت عيرة المسيحيين ونهضت بالتجار همهم وصارت تلك البلاد  
نقطة ارتحال لجماعات كثيرة من مشرين وتجار

وكان من مشاهير التجار الذين اول من اتهموا تلك المخاطر برون  
رولى فأتى عن احوال البلاد بفوائد جلية وفي رحلته تفاصيل كثيرة تنبى عن  
احوال الامم المحاورة للنيل الابيض وقصى في استقراءاته مساق كثيرة

وسنة ١٨٤٩ اشى مركز تبشير للكاتوليك في مدينة حرطوم وعزمت لجنة  
ان تقدم بالتبشير الى الدرجة الخامسة من العرض اي قرب خط الاستواء

فبلغت غندوكورو وفي المحطة الأخيرة التجارية على النيل الأبيض إلى جهة الجنوب . ووصل واحد منهم إلى حريرة في مجرى النهر فيها حبل شائع كأنه هرم كبير الشعر فرقي قننه واستشرف مجرى النهر فراه إلى مسافة بعيدة تارة يتحد من شلالات مستوعرة وتارة يتخلل الفيافي والقرى إلى أن ينتهي صاعداً متعرج بين الجبال القائمة في الأفق . وبالاختصار فقد افاد العلماء أولئك المشرون فوائد حمة شان الاقطار الدولية وإنشأوا مركزاً آخر عند الدرجة الساعة من العرض . فبناء على تقريراتهم وأخبار السياح من النجار نصف في الفصل التالي الهيئة العمومية الجغرافية لاقطار النيل وخصائصه وعادات الأمم هناك

## الفصل الثاني

— — — — —

أمة الشلوق - بحيرة النوء والور - بلاد الفطشة - النبات والحيوان  
فوس الماء - صيد الفيل - عادات وأحلاق الدقة - الحيات

النيل الأبيض يأتي من فوق حرطوم من الشمال إلى الجنوب وطول مجراه أكثر من ثمانمائة كيلومتر وهو عريض جداً يجنوي على عدة حرر يعاوم الماء فوق كثير منها أيام الفيض . والسمات كثيرة جداً في الجزر المذكورة وعلى الصفتين والغابات متسعة جداً مخلفة الأزهار والثمار وتكثر فيها الفروود والطيور بأنواعها والحيوانات البرية . والجزر والصفة الشمالية من النهر ملأاً للنبات البرية ولا سيما الشلوق وهم عبيد لصوم مختالون قساة جفاة عناة يركون

قوارب تسير بهم كالسهم وينقطعون الطرقات ويعززون القنائل المحاورة لارصهم  
ويأخذون كثيراً من مواشيهم فانهم يراقبون العرب المجاورين ليعرفوا ان  
يوردون ماشيتهم فاذا عرفوا يجمعون في نحو اربعين قارباً ويسبرون ليلاً  
على الضفة الاخرى من النهر فلا يراهم العرب . فاذا اعلوا مورد الماشية يحنون  
قواربهم بين الاستتار وفي اخوار الحرر ويمكثون كامبين حتى ترد الماشية  
فيقتضون عليها قواربهم وينزلون الى الشاطئ فيقتلون او يطردون رعاتها  
اذا وجدوهم شرذمة قليلة ويسلبون الماشية ويرجعون قبل ان يصل البحر الى  
القبيلة وقد يحدث ان العرب يذرون بهم قبل هجومهم فيمكنون لهم على ضفة  
النهر وعندما ينزلون الى النهر ينقضون عليهم ويأخذونهم عبيداً

ومارل الشلوق ممتدة سلسة طويلة على الضفة العربية الى مسافة بعيدة  
حداً حتى لا يحصى عدد سكانها لكثرتهم وتفرقهم . وليس على ضفاف النيل  
الابيض قبيلة غيرهم لما رعيم واحد تمنع له . يكون مقامه في دناب وممارلة تبلغ  
المئة شكلاً هرمي . والسيادة ارضية في عائنة لكن ليس اسه الذي يخلقه بل ادى  
اقراره واول عمل يعمله حليفته الاحتمال بدس حنته لان التريفة عندهم ان  
حبة الملك المتوفي تنفي في بيت خاص الى ان ياتي الحبيبة ويدفنها

والملك مستقل مستند في سلطته ويستولي على اولاد المجريين وسائرهم  
وتجارة العاج يده وحده ولا بدو منه احد الا راحاً وفي يده شيء من الخف  
وهيئة الشلوق قبيحة جداً تؤذ بالثوحس ولا يلبسون لباساً الا السماء  
فيلبس ما رر من حلود الحيوانات يسمى عندهم الرشاط والثمان بالاغون في  
تزيين ابدانهم فيرسلون شعرهم حتى يطول حداً ويجدلونه ويلفونه على رؤوسهم  
كالعمامة . وبعضهم يصع شيئاً كالشط من النما الى الكهنة يلفون عليه شعرهم  
ومهم من يصع دائرة من ريش ابيض حول راسه على شكل الاكليل . ويجعلون  
في معاصهم اساور من عاج يصنعونها بايديهم . ومن طمعهم العنق والاسناداد  
يشغلون بالاراعة وتربية الماشية ولا يذعنون لحكم اجبي لكن يسهل عليهم

ان يشترى الحلى الخاسية بولشيم

والصفة التي من المهر تمتد سهل فسهج الاطراف فيه بعض اكام مفردة  
شامخة والسكان هناك ليف من ارومة قديمة كثيرة الزروع منها امة في اعالي  
مجرى المهر تسمى الدقة

وفوق الدرجة العاشرة يتعطف النهر غرباً بعد ان يصب اليه نهر كبير  
يقال له صونة لا يعرف اصله وكثيراً ما ركبه نهار العاج ورمل الذهب من  
اهل خرطوم وفوق هذا المهر بمئة عشرين فرسخاً يخرج البيل من بحيرة لم يصبط  
تعبين حدودها يقال لها بحيرة النواصير في ايام الحرّ عديراً محاطاً بمناقع وفي  
ايام الفيضان تنسع فتشعل مساحة كبيرة جداً . وفي هذه البحيرة يصب نهر عبر  
معروف تماماً يسمى المحرافيون باسماء كثيرة كبحر العرال ومضلات وقيلق وبحر  
العدي وهو يجري غرباً ثم شمالاً ثم جنوب غرب ويظهر بالتحقيق انه آت من  
جهة الجنوب كالليل الايص . وبين نهر صونة وبحر العرال يسقي النيل بلاد  
النور وبخلاف منظره اختلافاً عظيماً بين خصب الارض وحديها وعامر وعامر  
حتى يظهر ماء المهر اسود راكداً معطياً باليلوفر تنتشر منه روائح شدة وتكون  
الغابات بعيدة عنه فلا ترى على مد المهر الا سهول مكسوة بعشب مرتفع  
والمناقع على الصفتين كثيرة النضياء وبينها بعض ابحار . ونهر الابر الى بحيرة  
الدوء اوجالاً كثيرة فلا تحدد شطوطها وتصل الاماكن العميقة منها بالسهول المحاورة  
بمناقع عظيمة لا يمكن للانسان ان يصع فيها قدمه وباختلاف المصول تجف  
بعض النقا وتكون في بعضها قيعان محصنة . ويكثر هناك العوض كثيرة عجيبة  
فيشتد اذاها على السباح في فصل الشتاء وعند عياب الشمس تهم حيوشها الجحارة  
على السفن فيخني منها الناس تحت استار كالكمال ( اي الباموسيات ) واذا  
حلك الظلام يرى الحباحب ( اي سراج الليل ) كثيراً جداً . واما في الصيف  
فلا يبقى للعوض اثر لدخول المياه المستنقعة التي يتولد منها لكن يظهر في الليل  
منظر غريب بحر من الديران يتلاطم بالرياح فيخلل الاعشاب الكبيرة

بحرارة الشمس وبحرقها مما فيها من الحشرات والرواحف . يصرمها الاهالي قصداً  
لتنظيف الارض وينت حشيش جديد ترعاه المواشي . وايضاً لكي تنفر الوحوش  
من هناك

وممازل النور على شواطئ البحيرة وعلى ضفتي خليج يقال له بحر الزرافة  
وتنصل ايضاً بهر صوة حيث كانت منازل الدقة فطردوهم . وهم اشداء  
شجعان ترهمهم القبائل المخاورة لهم من السودا . وشعلمهم الفلاحة وزراعة الذرة  
ومطرهم يؤذن بالهبة ونقاطيهم معتدلة لهم ملايح الاوروبيين تقريباً . ويلبسون  
على رؤوسهم قعاً محروطي الشكل يعش بالاصداغ والحرز وفي عنقهم قلادة  
من الحرر ايضاً ويطرحون على اكثافهم جلد نمر ويتعطفون بمنطقة يعلنون  
فيها حلفاً وفي معاصمهم اساور من قطع عاج رفيقة حادة . ويرسلون تنعهم  
ويطالونه احلاء احمر مع ايوته الروحنة ويجعله سوطاً وهذا الطلاء يولف عالماً  
من رماد وروث النمر والبول يخلط بمعة ليكون احمر فيصعونه على الشعر  
ويتركونه حولاً كاملاً ثم يحدونه والساء يصع ثمرراً من جلد وطوقاً من  
جلد ايضاً واساور من حرز وحلاجيل من نحاس او عاج . والصابايا تلسن  
ثمرراً من ورق الشجر ويثني السنة العليا ويعررن فيها باب حيوان بطول  
الاصبع مرصعة مخزر اررق وفي راسها لؤلؤة بيضاء . وهذه العادة تزيد شيوخاً  
كلما تدمت الى جهة العرب

ويحترق النيل من حد مصبه في بحيرة اللو الى نحو ثلاث درجات فوق  
البحيرة بلاداً منخفضة منعبة وهو فيها كثير العظام صيق الجري ويسببه الاهالي  
هناك باسم قبر . وعلى صفتيه من القسم الاسفل كثير من النصاب والحلفاء والرددي  
 وغير ذلك من السانات المرتعة حتى يخفي بينها الجاموس ويتالف منه في عدة  
اماكن عدران واخوار يمو حولها شعر الصدر . وعلى مسافة من الجري ترتفع  
 الاراضي ويكثر الشجر وينقطع الفصب ونحوه من الأس وتكثر النباتات المتعرشة  
 وتشككف حداً حول جدوع الاتجار الكبيرة حتى يصعب جداً تتبع طرق

الوحش بينهما . ومن انواع تلك الاشجار الدلب والباوب والهربون والسام  
والاسوس وتجرة السمن والتمر هدي وشجرة الصنع المر وكثير غيرها من الاشجار  
المباوعة . ومن الاشجار الصغيرة الفطس والكرم وغيرها

ولكثره العباض وغزارة الماء واتساع النفاذ وقلة السكان تكثر الوحوش  
كثرة عظيمة تنبص منها مياه المهر والمستنقعات والاحراش انواعاً وافرة .  
والسبك في المهر كبير ايضاً ومن حملة انواع الرعاد المشهور والسلاحف الصحبة  
واكثر طعام الاهالي من صيد السبك . وفيه ايضاً درس الماء والنساج وهم  
يخافونه جداً حتى انهم يطرحون له عبراً كلما قطعوا المهر . وفي النساء تكثر  
الحيات والورل وغيرها من انواع الرواحف . ومن الطيور النسر الصياد  
يصيح احياناً صياحاً غربياً . والعام والحبارى وديك البر والورل الكركي ودجاج  
فرعون والبط وانواع طيور الماء . ووحش النيص ايضاً انواع كثيرة

ومن الحيوانات الكبيرة الاسد وهو هناك كاسر جداً يفتك فتكاً شديداً  
ويهم على الانسان في منزله ويغطي اليه السياح المرتفع ويرمخ زمجرة مخيفة  
حداً طالما افلقت السياح في جوف الليل ومه نوع يقص الفتر الوحشي والادلي .  
ومنها البر والهد والصع والمهر العري وكثيراً ما تسطو على الماشية لكن تهرب  
من الانسان . والفيل كبير جداً يكون قطعاناً عديدة يصبح صياحاً مرعياً  
ويتناف شيئاً كثيراً من السمات الصغيرة والكبيرة ويقنع الاستحار بخروطيه .  
ومد سنتين كثر صيده فقل عدده شيئاً وتحصل من عاجه كميات وافرة  
ويقنلونه بالرمصاص عالياً والسودان يحمررون في طريقه حنراً عميقة يسترونها  
باغصان الشجر فاذا مر سقط فيقتلوه طعنًا بالرماح والعرب المجاورون للشاوق  
يصطادونه بالرماح على الحبل يرحون اليه اثنين اثنين الى ستة ستة فيطارونه  
ويدورون حوله في دائرة متسعة يصيغونها بالتدريج حتى يقتربوا منه فيترحل  
واحد منهم من ورائه وهو ملته رفاقه ويطعنه بالرمح في نطه فيسقطه فيطفر  
وينعطف اليه فياتي الآخرون ويشعونه طعنًا من الورا فيسقط صريعاً .

وخيل هؤلاء العرب تساق الرياح ولا يبارق الفرس فارسه ولو بقي وحده  
وتحتق الخطر. وقد يكرون على الليل عدة مرار وهم يطعنونه حتى ينزف دمه  
وأكثر موزم يصيد الليل في السهول وأوقات الحر والجفاف ولما يحمون بين  
الادغال والمناقع

والسودان يصطادون أيضاً الزرافة وتكون أسراراً كثيرة في المروج  
ويصطادون الكركدن والجاموس على شديتها وصرائها

ووقع فرس الماء في ذلك النهر ما يفوت حد التصديق فمن بحيرة الماء  
الى بلاد ناري لاتزال قطعانه ترى كل قطع مولف من نحو خمسين فرساً  
وهو غير كاسر لكن شديد الحذر لا يزال برفع راسه فوق الماء وينظر يمينا  
وشمالاً ثم يعوص. وتري كميات منه في المهار تلعب وتوانب على الشاطئ بظما بينة  
فإذا رات سنية توانست الى الماء وعاصت وهي ترعمر حقاً. وإذا كان الليل  
تسمع لها أيضاً رجة شديدة تدوي لها الفيعان والادغال ثم تخضع وتخرج الى  
البر لترعى فإذا دخلت ارضاً مرروعة درة الله فيها اتلاقاً تاماً أكلاً ودوساً مارجلها  
والسودان برعون في صيدها لاخذ اسنانها وحلودها ولحمها أيضاً لكن في  
صيدها خطراً حسيماً لان الرصاص لا يؤثر في حلودها الصفيقة. وقد وصف  
كوفان هيئة صيدها مرة قال كان في عندوكورو في ١٨ شاط سنة ١٨٥٨  
فاني نهار العاص ومن حملتهم رجل يقال انه علي طوبى كان اصحابه لم يذوقوا  
طعاماً الا الحموب منذ مدة طويلة فاراد ان يطعمهم لحماً فعزم على صيد فرس  
الماء. فاني صبحه ثاني يوم واخبرنا انه رمى فرساً بالرصاص فخرق دماغه وجرح  
آخر وفي اصحابه يراقبونه ربما ياخذوا لزام الصيد لسعاد دخيرتهم. فقصينا معه  
لنتفرج على هذه العلية فوجدنا جمهوراً غفيراً من السودان اقبلوا على صوت  
البارود وازدحموا لتوزيع اللحم عليهم. مركب علي زورق رجل ناري ماهر في  
صاعته وتقدم الى الفرس المجرع واطلق عليه الرصاص فوثب على الشاطئ  
فاعترضه السودان بسهامهم فشككوها في راسه وطعمه آخر بمخراق في عينه واثنته



ففيها فرجع الى الهر محاولاً اقتلاع الحراق وعاص تحت الماء ولا يستطيع ان يمكث تحت الماء الا ربما بمناح الى النفس وكان عليّ يتنعم انره فلما رفع رأسه رماه برصاصة خرقت دماغه فمرمر زنجرة مخفية ووثب على الرورق من شدة حنقه غير ان الملاح الباري تراجع عنه بجملة وكان الفرس ايضا قد وهى عمره وكان الدم يجري من رأسه وهو يحاول الفرار وعلي يضارده وينقطع دونه السبل حتى رماه برصاصة اخرى في قداله (اي خلف اذنيه) فلما هذه تكون الفاضية فطهر نعمر شديد حتى ارتفع كل يديه فوق الماء ثم سقط وجعل بجوض الماء ويدور على نفسه بعنف شديد وصارت قوته ثلاثى شيئاً فشيئاً الى ان ظلمت حركته فتقدم علي واطلق عليه الرصاص ايضا فطهر ثانية فوق الماء وسقط صريعاً وبعد دقائق طهرت قواته فصبح السودان صحبح الفرح والاستنشار وقد قضى الامر وزيارة السودان بصطادونه رأياً بالمخاريق يرطونها بحمل متين في حنع شجرة فادا اندوا الحراق في الحيوان يسرع الى الماء ويعوص وهو يرمجر ويعلمون به ذلك وهو في الهر ايضا لكن كثيراً ما يصدم السمس فينبأها ويتر أصحابها ساجدين خوفاً من سطوته

وكل ذلك القسم الذي يجري فيه الهر الى الدرجة السادسة ينطس فيه امان يقال لاحداها الطويشة وهي على الصفة البهي واللاخرى النطشة وهي على اليسرى . فيمرون هناك في ايام الجفاف ليرعوا مواشهم في القيعان وتشت بيهم نار الفتن . وهم والورة والالبانة الى جهة الجنوب من سلاله امة الدنة التي تنتشر في تلك الارض الى حل يماقي في الدرجة ١٢

واما الدنقة هذه على ما احبر المسترون الذين عاشروهم مدة طويلة هم احمل الامم التي على صفاف النيل الا يصب سيهم جيدة خفاف الحركة طوال القامات هيئتهم لا تدل على التوحش كما تترك الامم السودانية وكانوا يدعاه لكن ساءت طبائعهم بعد ما اساء اليهم الذين يجرون بالعبيد . ومن عاداتهم انهم يوسون بمرح عميق بين العيينين وبمرحون منه دوائر بالوخر على الجبهة وكلامهم

مولف من مقطع واحد على الغالب وليس عندهم حروف الصغير وذلك لانهم  
 يفعلون الشايات الاربع الامامية ويحلقون شعورهم الا ذواته يعلقون بها  
 اللآلىء ويجعلون في ايديهم وارجلهم اساور وخلائيل من العاج وحلق النحاس  
 والحديد ويكرهون كل لباس . والنساء يتزرنّ محلدن واحد من الامام وواحد  
 من الوراء والحليّ اطول ويلقنّ فيه شبه احراس صغيرة وحلقاً من حديد  
 او نحاس حتى يسمع للمرأة خشبش من مسافة بعيدة اذا مشت وقد يسرنّ  
 اكثافهنّ وصدورهنّ من حرّ الشمس . والرجال والنساء يعلقون في اذانهم  
 حلقات زينة من نحاس وسلسلة من حلقات صغرى ويرطّل بها خيطاً يندّ  
 الى اعلى الجبين حتى لا تستطيل الاذن من ثقلها بطول الرمان

ويتعاطى الدنفة رعي المواشي ومن طعمهم الكسل لا يظلمون الثروة  
 ويكتفون بالكفاف لكن يعاونون الانعام في ساء منارهم والساء يقنّ سائر  
 الاعمال بفنّ الحنول ويحترنّ الارض بمديدة كالملال ويقلعّ اصول  
 السمات غير النافعة ويذرّن ويحصدنّ ورجلهنّ على الماشية وريارة  
 الجارات لا ياتون البيت الا وقت الاكل والجماعة تكثر عندهم لنفادهم عن  
 الادّخار لكن الله يتدارك حاجتهم بعائته فعند انتهاء الحصاد يكون وقت  
 نصح الثمار الكثيرة عندهم فلا يحظر سالم ان بررعوا ثانية في نفس السنة  
 وينهافنون على الثمر . فاداء وقت الحفاف اي زمن التبط يتسارعون الى  
 حوار المهر بمواشيهم ويسرحونها في المروج ويتناون باللس والسمك لكن  
 لقلة اللبس وسوء تجميعه اذا اطيل استعماله محرّداً طالما يجتاحون ان يدلو ما عرّ  
 وهان ليتاعوا حيوياً من حيرانهم الذين هم اضر منهم في عواقب المعيشة .  
 وفي تلك الاتساء تكون ساء الفقراء في العائات يجمعنّ فصلات الطعام لسدّ  
 الرمي في امان الجوع

ولو فطن اولئك الدماء لما دافوا مرارة الشدة لان الارض خصبة جرّاً  
 والتربة في غاية الجودة والريّ وافٍ وامر وفي بلادهم شاع كثيرة منهلة

على جودتها بمجود بها السمسم والذرة والتنع . ويسهل ان يحصل موسمان في السنة  
لعزارة الري وقد حصل المشترون هناك ثلاثة مواسم في السنة من نوع من  
الحنطة انما بها من خرطوم تخرج عنها في شهرين والذرة تحصل عنها في ثلاثة  
اشهر

ومعظم اهتمام الدقة في الفر هي اعر عندهم من سائهم واولادهم لانها عمدة  
حياتهم على زعمهم وما سواها فصلة ونفهم صغيرة غير حسنة الشكل بخلاف  
الفر التي في حوار يبارا حموي حظ الاستواء . ولها قليل جداً وليس لهم  
منفعة من لحومها لانهم يجرمونها جداً فلا يمكن ان يذبحوا واحدة لاكل لحمها .  
واذا ماتت فترة يدونها كالولد والاح والاب ويربط صاحبها رباطها في عنقه  
ويطوف بين الناس نادياً سوء حظها . واتقى ان احد المشتريين دبح عجلاً فلقبوه  
بالذئب

واما النيران فيذبحونها في المواسم الكبيرة والاعراس والمآتم ولا يحصل  
السياح من لحمها شيء الا بدفع مبلغ حبيب من نحاس او خرر واشدة احترامهم  
للفر لا ترى فيهم رجلاً الا ملقاً باسم تور ولا امرأة الا ملقاة باسم فترة واكثر  
حديثهم بدور على ذكر الفر وبها تخصص اعابهم ولا حلها تشأ حروثهم واحسن  
مكان عندهم مراض الفر فيجتمعون هناك وينظرون اليها بالده وبجمعون  
اروائها باديهم ويجهونها بالشمس ويستخدمونها اما حرقاً في المراض اطرد  
البعوض او يعاون منها الضلأ المار ذكره لشعرهم او يخلطونها بالرماد ويحسون  
بها فرشهم . واما احوال الفر فهي ايضا في مكانة عظيمة من احترامهم يعسلون  
بها الدور والراحل والصحن ويعنسلون بها ايضا ولا يعسلون عليها الماء  
الزالل العذب ويصل بهم الامر الى ان يعتبروا السعيد منهم من يلازم فترة  
فاذا بالت يجعل يده تحتها فيعتسل به ويفرك به وحيته وهو في اشد الفرح .  
ورائحة روث الفر وبولها اشد الروائح عندهم

واما مساكن الدقة على نوعين فيها ما ينونها بسرعة على ضفة النهر وتكون

أكلوا من النصب مطيعة روث البقر يتقون بها النسيم البارد في الليل في فصل  
القيظ وتكون موقفة . ومنها المساكن الأصلية التي يقيمون بها ينوبها في الاحراس  
وتكون أكلوا مستديرة قطرها نحو أربعة أمتار تقوم على أوتاد وتشد بالاعصان  
وفي خلالها القصباء ويستقونها بالنس الياس على شكل مخروط ويطيئون  
حدرانها بالتراب وروث البقر ويرصون الارض حتى تستند صلابتها ويجعلون  
الابواب صينة يمدون بها رحنًا كالحجوات في اوجرتها ويقفلونها إيلًا تنفل من  
النس من الداخل . ويجعلون على الجدران تماثيل رؤوس النمر علامة للوداد  
والحيات علامة للكره والعصاة ويأمنون على جلد اوفراس من النس ويكون  
الاثاث كرايب محررة واوعية خزفية وقصات علابن يكثرون من استعمالها  
وسلال معلقة في السقف توضع فيها ذخيرة الحطة . وليس عدهم ارجحة فيدتون  
الحب يهاون من خشب صلب . فاذا جاء الليل يجتمعون ويتسامرون مليًا  
ويستدفئون سار الروث وتغتمسون في الرماد لانتفاء البرد القارس  
وللسوداد رغبة شديدة في الرقص . ورقص الدقة يكون ليلاً في ضوء  
القمر يدورون به حلقة على صوت الطبل ينفرون ويصيحون كالوحوش  
ويعمون اعاني لالتحس فيها موضوعها ذكر الساء والبقر . وفي هذه الاحتماءات  
يختار الشاب عروسه فاذا وقع اختياره على واحدة تعقد الحطة باداء المهر  
لعائلتها وتكون قيمته بالنسبة الى رتبته فان الحاكم عند القطة يدفع لابي خطيبته  
اذا كان رئيساً ايضاً عشر نترات وعشرة ثيران ولامها عشر نترات . ونعص  
قلائد من الحرراو الحماس لادنى اقربائها . ولا تنزوح المنت قبل الخامسة  
عشرة ولا الشاب قبل العشرين مع ان الادراك هناك يكون قبل ذلك العبر  
مدة غير قصيرة لحرارة الاقليم . فاذا حان الرفاف ياتي اصحاب العريس  
يصحف ملوقة لسا يقدموها لابي العروس فاذا كان من الرؤساء يدبحون بورا  
ويولون وايمة حافلة ويقدم العريس قسماً من المهر المتهنى عليه فتصير الفتاة  
شرعاً فباخذها الى منزل من غير احتفال ولا بودي تمام المهر الا اذا ولدت

له ولداً فان كانت عاقراً فلا . ويطلبها ويتخذ غيرها  
والعروس قبل ان تلد تمتنع براحة تامة وافراح دائمة يكون الكل في خدمتها  
كانها ملكة صاحبة امر وهي فتى ولدت نطل كل ذلك وتصبر كالامة فتسعى  
في جلب الماء والحطب من الادعال تحت الامطار وتقوم بتدبير المنزل والصلاح  
والحصاد ولا يفارقها رضيعها في كل اعمالها وترضعه احياناً مدة سنتين ادا لم نعل  
وتصنع له ارجوحة من الخلود وتعلمها مما كفا وتذهب لاعمالها فاذا حصدت او  
حرثت تعلقى الارجوحة في شجرة حتى اذا انتهت حملته وحملت الحطب وعادت  
الى بيتها فتذهب بصارتها في وقت قصير يسب هذه المشاق وحينئذ يشتري  
زوجهما فناء اخرى ولا يجوز ان يتخذ ضرة ولذلك لا تكثر النساء الاعد الاعبياء  
فكلما كانت ساء الرجل كثيرة كانت دليلاً على وفرة ترويه

واما الدين عند الدنقة فهو على عاية من المحسوبة لكنهم يعترفون باوجب  
الموجود ويسمونه دنديدو يعرفون انه هو خالق الشمس والقمر والشرع عبادهم  
لا يعتقدون خلود النفس بل يرفعون ان الانسان يسي بالموت . ومع هذا  
الصلال يوجد اعتقاد خفيف عند البعض فيقال ان النطفة والباري يدكروا  
ان الله خلق الناس الصالحين وجعلهم عبدة في السماء ولما اساء بعضهم تصرفه  
ارحم الى الارض بالحوال . واهل الصلاح من الشر يتدرون ان يصعدوا الى  
السماء بهذه الحمال لكن تطول الرماح فيمات الحمل وينقطع وقد اعلمت  
اقواب السماء دون الجميع

وعندهم فكر آخر بشأن سعادة الانسان الاولى وستوسط يستخرج من كرمهم  
الحبات لانهم يعتمدونها مداً الشر ولها يدمون النجايالاهم يتولون ان الله  
اعظم صلاحه لا يحتاج الى ترصية . ومن العرب اهلهم يعرفون الحكمة المسماة بيبون  
في الميتولوجيا اليونانية ويدعون لها توراً . قيل ولا بعد ان هذا الاسم اتصل  
منهم الى مصر ومنها الى بلاد اليونان . وكل الحيات عندهم سامة الا الافعى  
الحصراء التي تتعلق بين القصب على ضفة النهر والسماء يتون يبلغ طولها اكثر

من سنة امتار . وكل انواع الحيات توجد في الاحراش والبساتين والمنازل ايضاً  
نسب اليها لتقتل الفرو وتمس لمحوها . فلا يخرج الانسان من منزله الا  
متحذراً الكثرة وجودها في كل وقت . واسع الحية هناك ينخ هولاً شديداً  
وقد ذكر بعض السباح حية انت وهو مع جماعة جلوس على المائدة ايلآ  
وكانت من اخبث انواع الحيات تقتل من ساعتها . واول من رآها منهم صاح  
مترعجاً وبهت الجميع وحمل السائح يبظر هنا وهناك ليراها ثم رآها ساعية نحوه  
وتسلقت رجله وقصدت الدخول في كفه فمحص من ساعته ودفعها فوثب  
الجلوس كلهم وانفلت المائدة والصحون والتناديل ثم تعاونوا عليها بالعصي  
حتى قتلوها

وقد فتح ما ذكر ان امة الدقة ساقطة جداً بالنسبة الى العقائد الدينية  
ولذلك كثرت عندهم الحرافات وحرعلات المستعوزين وسينصح ذلك في  
الكلام عن اللاري في الفصل التالي

## الفصل الثالث

امة اللاري — عاداتهم واخلاقيهم — رقصهم — المستعظرون —  
ذكر جماعة من المستعظرون

من صعد النيل الابيض وبلغ الدرجة السادسة من العرض الشمالي يرى  
تعبيراً عظيماً في مناظر الطبيعة واشكلاً جديدة من هيئة البلاد . فهناك ليس  
مناافع ولا آجام من القصب بل تبدو في السهول الفسيحة قارات كثيرة . والنهر

في تلك السهول التي يشنها يكون نارة عريصاً شديد الجري وتارة يتلوى  
تعرجات كثيرة ويجدق مجرر عديدة نقطتها امة يقال لها شبرة . وتلك الجزر  
كثيرة السانات والادعال . وهناك مزارع الذرة ومروج الكلال تسرح فيها  
الوف من المواشي . والخصرة تعشى الاكام حتى لا يرى منها صحرا ولا تراب قريباً  
وتسد الافق حمال مستديرة من جهة الجنوب وقرى امة الداري متباعدة في  
مسافة بعيدة اما على حدود العابات او في الاكام والخصب هناك يريد المماظر  
رونقاً والسكى لهجة وادة

وتلك الامم اسى عنولاً من سائر الامم السودانية ولعنهم نوؤدن نرفع  
سلائلهم وتمتاز امة الباري بعنما في اعمالها وخشونة طماعها فانهم طاعون  
مشاغبون يعيشون بين القبائل متنقلين من قبيلة الى اخرى ولا يدايمهم التجار  
الا بالسلاح ختية من سطواتهم . ومع كثرة الحصب والحبرات الطبيعية في تلك  
الملاذ كثيراً ما تلجأ اهلها للحجاءات وما ذلك الا لقلّة الرراعة والتقاعد عن  
اعمال الحباة وتكرار السرقات والمهب وعيت فرس الماء في الحقول . والداعي  
الاكبر الاسراف في الهمم ياكولون علال الذرة والسسم في ثلثة اشهر فتعقب  
ذلك الهافة الشديدة وتلع اشدها في بسان وابار فيستردون في الملاذ هراً  
من سدة الجوع ويفصدون سفن التجار وسفقاتهم ليلتفضوا ما يتيسر لهم او  
يبادي ماديتهم الطعام يا جياع فينادرون كالذئاب ولتتهون كالحيتان  
وكتبرون منهم يموتون جوعاً وقد يصل الياس بالامهات الى ان يطرح  
اولادهم في النهر اذ ليس لهم ما يقتاتون به وتكثر السرقات والتبذل

والذي عده بعض قرات بعصدها ويعتدي بدمها واذا مات حيوان  
تفاقموا عليه كالنسر على الجيف . وبعد ذلك تنبل ايام المواسم فيقومون  
باعياد حافلة وتكثر افراحهم ويولون الولائم ويعقدون كل ليلة محالس لهم  
بين رقص وغناء ولعب وشرب وهلم جرّاً

وعادة الرقص هناك مما يدل على الحفة والطيش فلا يعتبر اولئك التصرّ

بين اجبال المشر الاكلاولاد في حاسب الرجال . قال احد المرسلين عبد  
ذكر هذه العادة انهم يضربون الطول بعد الطهر لكي يعلموا ان الاجتماع في  
المساء . فاذا كان المساء يسع ضرب الطيل مستمراً على مناسنة حركات الرقص  
حتماً لاهل القرى المجاورة لباتوا ويصهوا اليهم . وفي الساعة الثالثة اي بعد ارتفاع  
القر ارتفاعاً كافياً يردحون كالجرد من كل ناحية في المكان الذي فيه  
برقصون

ثم يجتمعون تحت الاتجار الكبيرة وتكون لهم حلقة عظيمة وصباح الفرح  
والفهنه والغناء ونحو ذلك ما يستوقف العام الجافل ومن حملة كلامهم الذي  
يتكرر « ناو . فارانا . لاري كانا . نانا باين » اي أمت هذا . مساء الخير .  
هذا يوم الرقص . هل معك تغ . وبين ذلك احداثهم يتواتون ويتلاعون  
« مثل السعادي » وعند انتهاء الرقص يؤلفون حلقتين احدهما داخلية من  
المساء والسات بحمان سوق الذرة بصنة رماح . والاخرى خارجية محبضة  
بالاولى من الرجال والصبيان ومعهم الخوذ والقسي والرماح . والاعتيان منهم  
يحملون تروساً من جلد الليل . وكل منهم يغلي ثابتن ما عده من التخف .  
والحيلة العامة للراقصين مولدة من اجراس صغيرة تعلق من القدم الى ما فوق  
الركبة لا يرال صلبها بوقر الأذان . والمساء يغندن مآزر جديدة والبيات  
يرين اعناقهن واكتفاهن بالخرر ويعلن من الورا ضميرة من جلد على شكل  
ذنب الفرة والرئيس يغدشارة المهابة دهن حصد دهن تجرة يصونها  
قورولنعي مزوحاً بهرة ويلتق حمائل صمراء وعلى راسه منار احمر وفي يده  
نرس من جلد الليل وعلى منكبيه جلد فر وفي ساقيه وذراعيه حلقات عديدة  
من النحاس محلوثة تم ياخذون في الرقص ويتخلل ذلك حركات وحشية وصباح  
كمواء الدئاب

ثم تضرب الطول ضرباً خاصاً فيتوتون عن الرقص والغناء وفي  
الحال تبرز الاطفال للمصارعة والمقاتلة وهم كالاسود الصارية ويهزون رماحهم



ويثلاثون ثم تولول النساء ولولة شديدة فتلقى الريح ويستعرب الكل في الضحك حتى تدوي الأرجاء . ثم يعود ضرب الطبول ويتقدم الزعيم ورعته بعده ويركض ويتبعه الراقصون وتدور حلقة النساء الى جهة مخالفة . ثم ياتون بحزم من الفس مستعلة ويطرحونها في وسط حلقة الرجال وباخذون في الرقص الحربي باحتدام حتى كأنهم الابالسة في جهنم بحركاتهم ومناظرهم وصياهم وطين الاجراس ودوي الطبول يزيد الحال فضاظة ومهابة

وهذه الاعمال والحركات الخشية التي تظهر في محافل الرقص تظهر ايضا في سائر المحافل من اعراس ومآتم واعياد ونحو ذلك . وفي الاعراس يولون ولائم فاخرة حافلة بانواع الاطعمة وكثرة الاسرة . وفي المآتم يخرجون مع الجنازة يعويل يلقى الاقطار وحركات تهلك الابدان وذلك لكي يطردوا الشياطين على زعمهم عن الجنازة ومتى دفن الميت يعلون ايضا يعويل شديد جدا ومن عادة الدقة ان الواحد يسمح له باقتناء ساء على نسبة مقدرته المالية لانهم يشترون ساءهم كاصناف الصناعة كما اشترى آتما . وتكون كل واحدة في كوخ على حدة لكن تكثر بيمن الخصومات والفس المسببة عن تحاسد الصرائر وانصل العيرة بعضهم الى ارتكاب الطوائع . فقد ذكر كوفمان ان امرأة اشددت بها العيرة واحرق فوادها الحسد لكون صرتها اربع منها منزلة عند الرجل ففي ذات يوم قصصت على بست هذه الصرة وقلعت عينيها ونقرت بطنها واستقرحت قلبها فعلم زوجها بذلك فقتلها صبورا

والفقر من اعظم اسباب توحشتهم وضرائهم فهم الاكر ان يملأوا بطونهم ولذلك لا يهتمون بدين ولا ادب . ويعتقدون وعود قوة خالقة اسمها موف ويقدمون قرابين من لبن وغير اطعمة للافاعي السود زاعمين انهم من سلالتها . لكن لا يعترفون بجلود النفس ولا ياتفون من الانهار

والمشعوذين والدجالين والرقاة وامثالهم مقام عظيم عند تلك الامة المارية وادعى بعض سحرة ان السلاح لا يؤثر في جسمه . واجتمع اليه الناس من كل

فج وتواردت اليه الهدايا كالسيل المتدفق فانفق يوماً انه خطب خطبة طعن فيها بتجار المصريين فترصدوه حتى قتلوه عدراً . فاحتاط قومه لشاؤهم وصاروا منتظرين رجوعه الى الحياة ولم يتحققوا موته حتى يلي

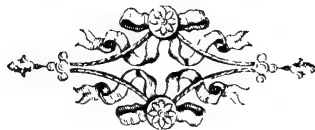
ومن اغرب ما برعمون ان فيهم اشخاصاً يستطرون السحاب اي يدعون انهم يزلون المطر متى شاؤوا . فيخبرمون ذلك الشخص اشد الاحترام ويحلقون منامه جداً وياتونه بالهدايا من كل نوع وخصوصاً اذا طالمت مدة القحط اي احتباس المطر . غير انه يكون معرضاً للويل اذا خاب عمله فانهم ينجسونه عليه ويشتمون بطشه زعماً منهم ان الرياح والعيوم كامئة فيه لم يبرد اولم يندران بجرحها الا ان يسكنهم بمواعيد نفهم او يلقي التهمة على كثرة شرورهم

واخص مركز لتجارة العاج عند امه الماري قربة غدوكورو الواقعة على الضفة اليمنى من النهر وفيها كان مقام المشركين الكاثوليك سنة ١٨٥٠ و ١٨٦٠ وكان اول اسير وشهيد مهم المحلوسكو الايطالي . فانه كان منترداً بين اولئك الدائرة وكان احسنهم طماعاً لا يخلو من تكرار الاساءة اليه فلم يضعف عمره بل جعل يثبشارة الانجيل بعيرة حارة . ثم سافر الى جهة العرب وصادف على نهر يصب في نهر صونة قبيلة من السودان يقال لها رري افاد عنها اعدادات جديدة وكان يطوف هناك وحده بين المخاطر

وانفق يوماً انه اراد الرجوع الى بلاد الماري فاكمن له ملك ليريا خمسمائة رجل ليقبلوه لانه كان عدو ملك الماري . وكان الكمين على شاطئ بحيرة يضطر المشر ان يمر بها ليستقي ويببت تلك الليلة . فلاحل ساعده مرراً واستقي ولم يبت حراً بالسير ليلاً للتخفيف ثقله حرّ الهار واتي الرجال من مكمنهم الى جهة المكان الذي طنوا انه مات فيه فلما وصلوا نثرت الطيور من الاشجار اكثر من حباتهم فحافوا وقد توهوا ان روح المشر ثارت في وجههم بمجوش جرارة فاخطلوا مضطربين وتطاعوا بالرماح وهم لا يعرفون انهم يتناولون انفسهم فقتل منهم ستة . فلما رجعوا الى الملك لفقوا له حديثاً هائلاً بشأن مقدرة المشر

حتى آلى ان لا يقصد من اخرى ملاحقته وقد توهه روحاً واهلاً قدبراً  
وفي هذا المبشر ساعياً على قدم النحاح مجبيل صبره وحس تدبيره حتى  
صار مطاعاً نافذ الكلمة في معظم احندام القوم . وقل القتل بين امة الباري  
وبدرب الفتن . وصارت امة البري تعتبره نظيره . وكان كل صاحب مجد على  
بابه طعام نهاره وهو لا يدري من يأتي به . وجرت عليه امور مسببة من قبل تحار  
خرطوم لم تخط من قدره بين الداراة فاستمر عدهم الى ان عجز عن العمل لكثرة  
المشقات مات امير الانساب شهيد البشارة . فاسنت عليه امة الباري اسفاً  
شديداً لا مزيد عليه ولمسوا الحداد جميعهم كباراً وصغاراً رجالاً ونساء . وكان  
نحو اربعة آلاف منهم يزورون قبره ويوحون عليه ويدبحون التبران مدة  
ثمانية ايام

وبعد ذلك انت لجنة من المشربين لكن لم يكن لهم عد الباري شان رفيع  
الاعايات خاصة اعطيتهم اتساع بطونهم من خيراتهم فكانت مسالمتهم اياهم رياء  
وكثيراً ما كانوا يسرقون من امتعتهم وغلامهم . وكانت اتصالية الباري بنحار  
خرطوم مانعاً اكبر في سبيل نحاح اللجنة فكانت جماعات مهم ومن حملتهم كثير  
من الاوروبيين الاردباء ياتون ويفسدون امور المشربين ويحرضون الباري  
على اذيتهم . وما اوغر الصدور ايضاً ما كان بحري من الاخطار والقتل بسبب  
نحار العبيد المدعين تحارة العاج فصار الاهالي يكرهون الاجاب كرهاً شديداً  
وبذلك تناهت الفتن . ومن ثم حبط مسعى المشربين تكراراً وقتل منهم عدد  
غير في جهات مختلفة



## الفصل الرابع

نهر صوة وبحر العرال — قبيلة نيام نيام — ذكر غير امور

المهران المذكوران بصان في الليل الايص وكثيراً ما قصدوا حبيها تجار العبيد وصيادو الفيلة. وكان السائح اربود قد دخل نهر صوة من مصبه. واستقراه رجل مالطي بعد ذلك اسمه اندريا ديبو سنة ١٨٥٤ وكان معه رفيق اسمه فيليب ترابوفا. فوحداً مهراً عظيم الشان بحري تعاريج كثيرة في سهول مسيجة كثيرة السات والفيلة ونهر الوحش والرافات ويسمى باسماء مختلفة باختلاف الاقطار

وعلى ضفتيه قبائل من سلالة الدنته والشلوق وقصد ديبو ورفيقه ان يدخلوا بلاد البري لياحدا العاج فصعدا في فرع من النهر الى مسافة بعيدة ثم توقفا بسبب هبوط الماء الماتح عن القحط فاصطرا ان يبقيا عدة اسابيع بين جماعة من السودان خبتاء الطباع لا يتدران ان يتقدما ولا يتأخرا وكثيراً ما اضطرا الى السلاح لدفع شرورهم غير انهما حاولا احراء العلاقات بينهما وبين بعض رؤساء البلاد مع انهم مطعون على الطمع والحسنة. وقد ذكر ترابوفا في جريدته اخباراً بشأن تلك الاقامة فقال

سافرت في ٥ اذار مع خمسة عشر من العبيد للفناء سلطان الشلوق وكان مقبلاً على مسافة نحو يومين في الداخلية فوصلت في اليوم الثالث. وعلم الملك

بقدمي فارسل اليّ كبة وافرة من اللين وغيره من الاطعمة ووعده انه ثاني يوم  
 يرورني فلما كان العديت جهوزاً من السودان في حركة وسعل سأل  
 من يهيد الطريق فسالتهم ما الداعي لذلك فقالوا هذه الطريق التي يمر بها  
 السلطان . وكانوا يهرشون الطريق بالرمال وروث النقر ويسترون ذلك  
 بالجلود . وكان الناس قاعدن على جابي الطريق . لانه لا يسمع لاحد ان  
 ينف بحصرة الملك . ثم اقبل بحاشية قليلة الى ان وصل وجلس على اسكاته على  
 مسافة ثمانى خطوات من خيمتي وامر ان آتي واحاس لديه فحمل عيدي طمسة  
 ووضعوها امامه فجلس

وكان سابقاً حسن الهيئة والشكل عاري البدن يلبس قلاند من خرز  
 تستطيل بالتدرج الى ساقه الواحدة اطول من الاخرى . وعلى راسه قمع مزين  
 بالحرز ومستدود الى عقبه يعقد من صغار الصدف وفي راسه عنكولة من ريش  
 نعام اسود . وكان جالساً حلسة حاصة وحوله اربعة من خواصه كل منهم قاض  
 على قائمة من قوائم الاسكاملة وقدامه رجلان يصع احدي رجله على فخذ احدهما  
 والاخرى على فخذ الآخر . واثان احراش واحد عن يساره واحد عن يمينه  
 وظيفتهما ان يلقيا بأيديهما الصاق السلطان كل بدوره فيمرع به وجهة كانه دهن  
 واذا فات يد احدهما الصاق يلقى الملك في وجهه

وفي اليوم التالي اتى اربارني ايضاً وقدم لي باب فيل وزنها خمسة ارطال  
 فقدمت له كبة من الحرز وقمعة مرياً بالحرز وحرسين صغيرين كالحجل لهما  
 ملفوفان بحيث لا يراها فكان يحببهما ويختار غير عارف من ابن باتي صوتهما  
 الى ان اهتمته . وقدمت له ايضاً امرأة صغيرة فلما رأى فيها صورته الشنيعة ظن  
 انه يرى شخصاً آخر وراءها واذ لم ير احداً الا اذا نظر فيها تعجب وسألني  
 كشف هذا السر فافهمته ان كل من نظر فيها لا يرى امامه غير صورة نفسه وما  
 يواجهها مما يفر به . وقدمت ايضاً قميصاً علقت في صدره خرراً وجلجل وبعد  
 ذلك سألته ان يسمح لي بشيء من الاخشاب لاسي لي كوخاً . فامنع عن اجابتي

واما نهر الغزال فهو يأتي من جهة الجنوب الغربي ويدخله النجار جهاهير  
جهاهير وقد افادوا على صفتيه مارل عديدة . واستفراء البلاد التي يجري  
فيها عرف السياح احوال امة نيام بيام التي شاعت فيها اقوال غريبة مختلفة  
وقد اشربا اليها في القسم الاول من هذا الكتاب وكشف السر المتعلق بحر  
ادباهم السائح العالم عليوم لجان الفرنسي

وهذا السائح آخر من استقرى الليل الاعلى كنه الامبراطور نابليون  
الثالث رسالة الى السودان فوصل الى سواكن ومنها مضى الى خرطوم  
فوجد هناك صعوبات شديدة تعترض دون مسيره في الداخلية لان نجار  
العبيد كانوا قد اكثروا من العيت بين سرقه وهب وقتل وتخريب وهلم جرا  
حتى اشتد كره السودان لكل احبني فكادت التجارة لا تيسر الا بفريد عسكر  
م . ولذلك كان لجان مرتباً من حفة النجار ولم يحسر ان يصعب احداً منهم  
لجمع على مئتيه عشرين رجلاً وركب النهر محمواً وسار سير المعتسف . فلم  
يخدمه طالع سعد في هذه الرحلة فانه بلغ غمدوكورو فوجد الفتن فيها على ساق  
وقدم بسوء معاملته تجار العبيد فامتنع اصحابه ان يتقدموا في طريقهم فركب الميل  
الابيض واحناز منه الى بحر العزال فاستفراء الى حد يابيعه في زورق للبراق  
غير انه لم يستطع شئ من مصادره لان تجارة العبيد في تلك الاقطار كانت  
تدعو الى افطاع الاعمال والمحتش السائح حتى لم تكن تادة تخلص من بران من  
مستمة والدماء تجري من اهلها امهارة والاضطراب لا يفر له قرار ولم يكن احد  
ضعيف الجباب يامن على نفسه . فرجع لجان حزيناً اسيفاً لهذه الاضطهادات  
وقرر عنها تقريرات مستوفية . وقد ذكرنا هذا المعنى في القسم الاول من هذا  
الكتاب . والله الموفق الى سبيل الرشاد

## ملحق

في محافل الاقطار الشمالية من الكرة الارصة

— ٥٤٠ —

## الفصل الاول

## النقطة الشمالية

ليست الصعوبات التي تعرض في طرق المتجولين في اقطار افرقية الوسطى  
المحرقة اعظم من التي تطرأ على الباحثين في بلاد تخلصت من الجمد جلياً ابدياً  
وكما تحركت خواطر العلماء الى استقراء محافل افرقية نهض بهم حب الاطلاع  
الى المخاطرة في كشف تلك المجاهل الخايدة ومعلم رغبتهم في هذا البحث حب  
الوقوف على احوال الحوادث الطبيعية التي يقوم بها نظام كرة الارض  
والاقطار القطبية بالطر الى هيئتها الجغرافية عبارة عن قمة عظيمة من  
الجليد تسير سطح الارض في كل من القطبتين وليست لها تخوم محدودة الا  
بالتقريب بواسطة الدائرة القطبية

ومساحة الاقطار الشمالية تقرب من ١٧٠٠٠٠٠٠ ورشح مربع ليس سطحها  
الا الماء والياسة سبعة مخلفة وغير محدودة وفي شمال ر اميركا تغلغل البحار  
جرائر لا تحصى متورة بلا نظام على ابعاد متباينة من البر متصلة بمصايق ليس  
بيها نسبة في الطول والنصر والعرض والعق حتى لا يمكن التمييز بينها بالاستقراء

وكل سنة في الشتاء تجهد تلك المصايق البحرية فتصل الجزر بعضها ببعض  
محسور من الجليد . فتكون خطاً تخيماً للنقطة الشمالية كدائرة يبلغ معدل قطرها  
نحو ٢٠٠ كيلومتر

وهذا الحاجر العظيم هو الذي حاول الناس خرقه ، بوسائل عديدة من -  
اربعمائة سنة الى داخلته توجهت خواطهم رغبة شديدة كما توجهت للتوغل  
في اواسط افريقية الكثيرة المخاطر

ولما مباشر الناس الاسفار الطويلة وكان فاسكوداعاما اول من فتح  
طريق الهند القديمة فانقلت هيئة العالم الجارية حدثت حركة عظمى في اوربا  
وتبادرت اممها لسلوك اقصر الطرق الى تلك البلاد المشهورة ، فادوا بها التي هي  
محور عظيم لدولاب التجارة . وهذا الجهد هو الذي لم كولمبوس لاكتشاف  
اميركا ومن ثم حاول الناس اكتشاف معابر الى الجنوب والشمال ، فاما المخاز  
الى جهة الجنوب فقد اكتشفت ماجلان السائح المشهور ( راجع الفصل الاول من  
ملخص السباحات الكبرى ) واما المخار الى الشمال فبقي على شدة العماء مجهولاً  
الى القرن السابع عشر وكان الاهتمام بكشفه منذ القرن الخامس عشر . وكان  
اساء القرون الماضية لاهتمون لميوع الدرجة التسعين من العرض الشمالي ولم  
يحظر سألهم ما ينجم عن اكتشاف تلك الاقطار من الممافع العلمية واما انباء هذا  
القرن فقد عرفوا انه من الضرورة لفائدة عظمى للبشر ان يحاطروا هذه المخاطرة  
الجليلة وكانت كل امة من امم اوربا تفخر من يركب منها اخطار البحار الشمالية  
وليست الفائدة من بلوغ النقطة الشمالية تتعلق فقط بالعالم النظري بل لها  
شان عظيم بالنسبة الى العلم العملي لان عليها يتوقف مستقبل العالم مادياً . وفي  
النقطة الشمالية مركز الانواء الارضية ومنها مصدرها ومصدر التيارات الجوية  
والبحرية التي تنلف في مدة قصيرة نتيجة اعمال طويلة فهناك نقطة مهاب الرياح  
وجرارات البحار التي هي مصادر اسباب الحر والبرد

ومن ذكر اصحاب الرحلات يتضح تقدم الناس في المعرفة وشدة اهتمامهم



بتلك الاكتشافات وذلك من الاطلاع على ما كان كل من السباح يكتشفه  
 بخصوص ما يدخله من تلك الاقطار . فسبسيان كايوت اكتشف بلاداً سميت  
 « الارض الجديدة » وغسبردو كورتريال اكتشف بلاد ليرادور . وجاك  
 كرتي اكتشف « فرنسا الجديدة » اي كادة . وبيرين الدانركي اكتشف المصيق  
 المشهور المسي باسم ومات هناك . وهيرن اكتشف البحر القطبي وهو بنصبة  
 لحساب شركة هدسون . وماك كنزي اكتشف النهر الوحيد من اميركا الذي  
 يصب في البحار القطبية وسماه باسمه . وفوريشر ودافيس وبافين وفوكس  
 وميدلتون وويلوغبي وسكورسي ومارتس ونجل وروس وباري وكثيرون  
 غيرهم بدلو جهدهم وخطروا بحياتهم حتى ملأوا الخارطت الشمالية اسما جديدة  
 وعرفوا عدة اماكن قطبية وحاولوا خرق تلك الحواجز الهائلة التي تحول دون  
 بلوغ القطبة . وكان معظم اهتمامهم اما لمصالح تجارية او للافتخار بالاكتشاف  
 ان يجدوا طريقاً صحيحاً يوصل بين الانجليك والاقويانوس الجنوبي اي الماسيهيك  
 ولذلك لم يوجهوا كل حواطهم للبلوغ ففألت رحلاتهم اليها الى ان قام  
 فريكلين وسافر لاستقراء الاقطار القطبية فرحل ثلاث مرات آخرها سنة ١٨٤٥  
 فكانت آخره هذا الرجل العظيم مخوفة بالنعاسة وحيث اتراه مدة طويلة  
 حتى تحركت هم انكثرا واميركا لاقتناء اتاره والسعي في نجاته اذا كان حياً  
 فنتجت عن هذه الرحلات نتائج عظيمة الفائدة كما سنبين . والسبيل الذي سلكه  
 فريكلين مصيق لكستر كان معمولاً من جهة الساحل الشرقي من غريلندة  
 ولم يتيسر النجاح لعدم اسظام مجاري المياه والجليد في تلك الاقطار ولم يقدر  
 احد اذ ذاك ان يتجاوز الدرجة ٧٨ حيث البلاد المسماة بارض الملك وليم . غير  
 ان الساحل الغربي من غريلندة هو الذي تيسر فتح سبيل فيه فانح التناجج  
 الحسنة وسياتي في فصل نال ان مركهام بلغ سنة ١٨٧٦ الدرجة ٨٢ والدقيقة  
 ٢٠ وهي اقصى نقطة شمالية بلغها اوروبي . ومما اكثر من ثلاثين سنة كان اهتمام  
 السباح معروفاً في ذلك السبيل اما للبلوغ القطبية واما لتحقيق الطن بوجود بحر

سائل داخل القطبة في وسط الدائرة الجليدية العظيمة  
وبالاختصار نقول ان محاولة باوغ القطبة الشمالية نجبت عن السعي في  
اكتشاف ممر من الشمال العربي والشمال الشرقي فحصلت من ذلك معرفة  
حوادث قطبية تستحق الاعتبار على ما سيأتي

## الفصل الثاني

### الاستقرارات منذ عهد فرنكلين

قلنا ان الحواطر توجّهت الى جهة فرنكلين في رحلته الثالثة ليحناز القطبة  
الفاصلة بين الاوقيانوسين وكان معه ٢٨ رجلاً فقط ومضت عليه سنتان ولم  
ترد من نحوه اخبار فاشتعل نال انكلترا وارسلت تلك الجس ليقتسوا كل البحار  
والاجوان والواعيز التي في ارحيل اميركا في حوار حريرة ملميل . فلم يصادفوا  
شخاً فمحرّكت الولايات المتحدة وارسلت اسطولاً مولفاً من احدى عشرة سفينة  
من حملتها سبعة حهرتها امرأة فرنكلين وحملت قيادتها للبرنس البرت .  
فاستقراسة ١٨٥٠ باحي بوغاز بارو وشقوا باجتهاد حتى يروا دايلاً واحداً  
للاهداء الى السبيل الذي سلكه فرنكلين . محط المسعى ايضاً تم عاد البرنس  
البرت سنة ١٨٥١ على نفقة امرأة فرنكلين وصحب سائاً فرنسويّاً خبيراً اسمه باو  
وبذل جهداً لا يقدّر وعاد القوم خائنين . فمهرت في السنة التالية سفينة اسمها  
ابرايل فلم تاتِ نتيجة ايضاً . ومع ذلك فلم يصعب العزم فاعادت الفرنسوي

بلو سنة ١٨٥٢ فوصل الى جزيرة بتشي وهي النقطة المركزية للبواغيز القطبية وعزم على المسير الى مصيق ولنتون ليسلم الى القبطان بلشر رسائل الاعرافية فذهبه عاصف شديد الفاه في شق عميق ولم يشعر به رفاقه ففضى شهيد العلم والانسانية واسفت عليه انكثرا كما اسفت فرسا

ومع كل ذلك لم تسقط همّة الناس في البحث عن فرنكلين فسنة ١٨٥٨ و١٨٥٩ رحل القبطان ماك كلنتوك في ثلاثين سبعة وكانت امراة فرنكلين قد جمعت ما بقي لها واستعانت باهل الخبز والساج حتى جهزت سفينة القبطان المذكور . فمضى وصحبه ٢٦ رجلاً من نخبة الملاحين مهم اثنان من احذق الناس واكثرهم خبرة . فاقاموا في بحر نافي من مدة الشتاء ومضوا في نيسان سنة ١٨٥٨ الى مصيق لمكسندر وبلغوا جزيرة بتشي واقاموا اترّاً لذكور فرنكلين ومضوا الى مصيق البرس ربح ليصرفوا فصل الشتاء

ففي ربيع سنة ١٨٥٩ بلغوا شبه جزيرة نوتيا وهم يسألون الناس عن اهل السواحل فاقادهم قوم من الاسكيو انكسار سفينتين كبيرتين في جهة الشمال العربي من ارض الملك وليم واروهم اشياء مختلفة من اثار العرقى . فتقدم ماك كلنتون ورفيقاه لاستفراء سواحل تلك الارض . فلما بلغوا المكان الذي وقف فيه جنس روس قبل ذلك العهد عشرين سنة سنس هذا السبي وحده سون احد رفيقي ماك كلنتون ردهة من المحارة فمشها ووجد فيها ما اطار فواده فرحاً وحدث رقتين فيها افادات من اصحاب رحلة فرنكلين رصعوهما . ماك حين مرورهم الى السواحل المأهولة وكانت هذه الردهة اترّاً بيني مرور الدس كانوا يتشون عليهم . ففي احدي الرقتين ذكر اقامة فرنكلين في فصل الشتاء في جزيرة بتشي والثانية مورخه في ٢٥ نيسان سنة ١٨٤٨ ومكتوب فيها ما ياتي « توقعت السفينتان عن المسير بسبب الحليد في ١٢ ايلول سنة ١٨٤٦ واطلقنا في ٢٢ نيسان سنة ١٨٤٧ على مسافة خمسة فراسخ من جهة شمالي الشمال العربي وكان عدد الصايط والركاب ١٠٥ تحت قيادة القبطان كروازي واقاموا في هذه

الارض ومات فريكلين في ١١ حزيران سنة ١٨٤٧ . وعدد الذين ماتوا الى هذا اليوم تسعة ضباط و ١٥ توتيا وعددا ( ٢٧ مئة ) سافر الى نهر ناك " تحبذ تقدم ماك كلتون وبائبة الى الجهة المذكورة فوجدا سهولة آثار اصحاب الرحلة اي جنتهم متورة على الارض ورورقا معدا لاجياز المصيق الفاصل بين تلك الارض وراميركا . هذا كل ما عرفاه

وسنة ١٨٦٨ و ١٨٦٩ كانت رحلة هال الى هناك فاستناد من الاسكيو فوائد مصلة بهذا الشأن مدة اثنائه في خون بولس . فيعلم ما افاد ان كروازيني كان قد بلغ البر في طوف من جلد اشترأه من الاهالي بعد ان ترك الرورق الحشبي لتقله على توتيه المموكين من التعب . فلما برل الى البر اصطر الى فتنة بين الاسكيو وفار بالطر وقد اعبي اصحابه فحدثت بينهم مطروحة على طريقهم والشرمة التي بقيت منهم حاولت بلوع حص روفيدس فلم يصل منهم احد والاحير الذي بقي منهم كان الاسكيو قد امسكه عندهم فمات سنة ١٨٦٤

فبدل المهمة في التنقيب عن آثار تلك الرحلة واتى مكتشف امور اخرى . ثم انهم اكتشفوا آثار الرجال لكن لم يعرفوا ملخص الاعمال التي قام بها فريكلين . سنة ١٨٧٢ و ١٨٧٧ استقصى قبطانا ينال لما توتر وباري اخبار تلك المكبة من الاسكيو فاخبر اثنان منهم بباعان من العمر من خمسين الى ستين سنة ان الذين بقوا في الحياة من اصحاب فريكلين اقاموا ردة اودعوها الاوراق المتعلقة برجلتهم وبعد ذلك وقف القبطان ادمس في نواحي ارض كوكرن على افادات تتعلق بموت فريكلين

ثم ان غردون ست مدير حريدة نيويورك هرلد اراد ان يرسل جماعة للتمتيط على فريكلين كما ارسل للتمتيط على ايفنستون حين طست اخباره في محاهل افريقية لكن لم يات مسعاه نتيجة . فالحاصل ان كثرة الرحلات المسببة عن نكبة فريكلين قد انت العالم بموائد حمة عظيمة الشأن بخصوص النطة

الشمالية وكان عدد الرحلات ١٦ في مدة ١٢ سنة وكان معظم الملاحظة بين  
 ألكترا واميركا لمعرفة طريق القطبة فاكشمت بذلك اكتشافات جلييلة من  
 حملتها القول بوجود محرسائل صمن المنظمة الجليدية في نفس القطبة  
 ومن اعظم الرحلات التي تستحق الذكر ونقوم بمحمد صاحبها ونؤيد سبوق  
 همنو رحلة القطبان هال فانه جهر سمس التجهيزات اللازمة ومضى في سفينتين  
 يتنعم الاهوال فانكسرت السفينتان ولم يصعب عرمة بل ركب زورقاً وطاف  
 به المحار ومكث مدة في بلاد الاسكيمو يتغلق باخلاقهم ويتخذ عاداتهم حتى  
 وقف على اسرار تلك الافطار واكشمت له سرائر تلك الامة من سنة ١٨٦٤  
 الى ١٨٦٩

فلما رحع نال رضي العموم ووهنت الحكومة تعويصاً عن حسائره خمسين  
 الف ريال وسقبة من احسن السفن التجارية . فتجهز لرحلة حديدة وكان  
 يصحتم رجالا من الاسكيمو مع عيالها كانا سبباً لانقاذ المسافرين من هلاك مبين  
 غير ان التوفيق لم يساعد هذا الرجل العظيم فانه لما بلغ الدرجة ٨٢ من  
 العرض الشمالي مرض ومات مدفونه في الارض التي اكتشفها وسميت باسمه .  
 واتفق ايضاً ان السفينة الكبرى صادمت بعنف التيارات قطعة من الجليد كالجلبل  
 ثم صدمتها قطعة اخرى ورفعتها الى علو عظيم فسقطت عنها وانصل منها ١٩  
 رجلاً نفوا على الجليد والسفينة نجرها التيارات في عرض البحر

وكان من حملة الدين انصلوا عن السفينة النائب تيسون وهو ذو سكبنة  
 وتبات وحذق في التدبير لايفشل لدى المصائب . فلما يئس من السفينة كان  
 اصحابه قد افكروا ان يتخذوا اقرب واسطة نقيم من الهلاك غير ان الصعوبات  
 فاقت الحدود فانهم كانوا يعيدون عن البر وقطعة الجليد التي كانوا عليها كانت  
 تسير بهم في عرض البحر وكانت كل يوم تصدمها قطع اخرى فتقطع منها  
 قطعاً كبيرة حتى صار قطرها كيلومتريين وكل ما حاول المساكين من وسائل  
 النجاة ذهب سدًى فاقاموا يناسون شتائد البرد والجليد والرياح والجوع ايضاً

وكان مارس لا يعمل عن جمع كمية وافرة من الراد في كل ساحل حتى اذا  
اصبوا فقد السس مجدوا في رجوعهم ما ياكلون . واذا كانت السفن عاية في  
المنامة تيسر لهم خرق الجليد ولوع الدرجة ٨٢ هناك اعترضهم حبل من  
الجليد فما استطاعوا ان يمتازوا الدرجة المذكورة الا بربع وعشرين دقيقة .  
وهي آخر نقطة بلغنها سفينة الى ذلك الوقت . وحينئذ اخذوا الاحتياطات  
اللازمة لقصاء فصل الشتاء حيث لا يرون الشمس مدة طويلة . غير ان  
مارس احتشد قبل هجوم الليل القطبي الطويل ان يستقري كثيراً من تلك  
الاقطار فارسل مكهام وري وماي في الحملات فدخلوا ٢٦ ٢٠ ٨٢ وهي  
آخر نقطة من العرض الشمالي وطبها اسار

وكان الدرتس نائب احدى السفينتين يستقري ايضاً السواحي المجاورة لها  
فتقطع مسافة ٢٠٠ كيلومتر من الدرجة ٦٠ الى الدرجة ٨٧ من الطول الغربي  
وكان في كل مكان يجد المحاجر الجليدي الدائم الى حافة الشمال . ومع ذلك  
عرف الساحل وتعرحاته وانبت انه يميل ميلاً طاهراً الى الجنوب الغربي بعد  
ان يعطف في حط منحنى الى جهة الشمال

واما السفينة الاخرى فكانت اقرب الى الجنوب من الاولى فمضى منها بولون  
لاستفراء ساحل غرينلدة . فمضى عدائاً شديداً هو ورفاقه ورجعوا وقد مات  
مهم اثنان . ووجد ايضاً صرّج القبطان هال سالماً . وكان معه صفيحة امريت  
انكثرا ان توصع في القبر تذكيراً لهمة ذلك الرجل العبور الذي كشف  
الطريق موضعها ولم يستطع الرجوع الى سفينه وهي تجاهد . فانقام باصحاء مدة  
حتى امهكتهم الانعاب . وفي اثناء ذلك فحص ساحل غرينلدة الى مسافة  
طويلة وانبت وجود حرائر ور ايضاً في حافة الشمال لكن لم يتحقق هل هذا  
البر الذي رآه مستقل او هو قطعة مرتفعة من ارض غرينلدة من حافة الشمال  
وذاق اصحاب تلك الرحلة عذاب اطول ليل قطبي امكن العلماء الحكم  
على مدته واصدئهم الامراض وتخللوا قطع الجليد شبهة غريبة وتعطلت صنعهم

وكان من حملتهم ايضاً الرجال من الاسكيمو المذكوران وكان جل اهتمامها تدبير ما يقتانون به ولولا حسن تدبيرها لهلك الجميع جوعاً . وكانت قطعة الجليد التي هم عليها تنصاقص كل يوم حتى صار عرضها ٢٥ قدماً فقط ففألههم الله ان يتسوا منها الى قطعة اخرى ثم يتفلاوا من قطعة الى غيرها حتى يبلغوا البر ولم يكن معهم الا زورق واحد كانوا كلهم متشبثين به فكادت الرياح في ذات يوم تتلف هذا المجد الوحيد الذي بقي لهم واصبحوا على شفير الهلاك المحقق بعد ان قصوا نحو ٢٠٠ يوم في اشد الاحوال واذا سمينة لاحت لهم في الافق فعملوا بالوتحون لها باحتداد خارق العادة لكن مصي الهار ولم يعوزوا بطائل . وفي الليل اشعلوا ناراً كبيرة من فضلة ريت الحيتان الساقية معهم فلما طلع المهارلم يروا السمينة فيسقطوا يأساً

وفيها هم في ضيق الحناق رأوا قلوب سمينة فلوحو لها فرأت علاماتهم وانت فركوها فترحب بهم اصحابها اشد الترحاب وتعجوا عجباً لا مزيد عليه من فرائهم وهم اتون من جهة القطبة بتقديم الجليد مدة ٢٠٠ يوم ولم يمت منهم مع ذلك احد لحسن تدبير رئيسهم ويسون وعلو همة الرحلين الاسكيبين

فخرج نحاح حال الذي دفع اوهاماً كثيرة في رسوم المحارثة القطبية اثر في انكثرتا تاثيراً شديداً فجهزت لرحلة لم يسبق لها نظير حتى لا يستط شيء من محادثتها وهو ملكة المحار . فقد تخمنت سميتين من اعظم السمن وامنها مذخيرة تكفي ثلاث سنوات وكان الفائد الاول القطار نارس المشهور بمخبرته وكثرة اسناره البحرية وما كشافه تكرر السر اموراً كثيرة في قاع البخرامات العلم اجل الدوائد الطبيعية . وكان سميتيه حينئذ في الباسينيك عند حط الاستواء . فارسلوا اليه رسالة لغرافية يحثونه على القدوم لرئاسة الرحلة القطبية . وجعل مركهام لقيادة احدي السميتين وسيتيسون لقيادة الاخرى وكان ذلك في حزيران سنة ١٨٧٥ واخذوا معهم كمية من الكلاب لجر العجلات وقاسوا انعاماً شديدة بن قطع الجليد واعترضتهم صعوبات كثيرة في اجنياز مصيق سميت

حتى لم يسلم من داء البحر الا ثمانية من ٥٢ . في مركز هذه صعوته وبين  
 اخطار هذه شدتها ونعد المناسبة بين تلك العذابات ونتائجها المفيدة عزم  
 نارس على الرجوع في اول فرصة تيسر له وان كان مأموراً ان يقيم ثلاث  
 شتويات هناك ولذلك كان رجوعه مكدرًا للعموم واثموا انه لم يبق بحق الرحلة  
 ولا اتى بالنتائج المنتظرة مع ان الحق انه كشف سرًا عظيمًا وهو قانون الجحارات  
 البحرية في القطب الشمالية وعرف من السواحل مسافة ٧٤٠ كيلومترًا زيادة  
 عما كان يُعرف قلة . وعرف بتحقيق طبيعة ذلك الحاجز الجليدي الذي  
 لا يستطيع البشر احتيازه . وعرف ان داخله اي في مركز القطب ليس بحر  
 سائل بل اوقيانوس من الحمم مولى من قطع عظيمة تاتية منذ قرون عديدة .  
 وان ذلك البحر الجليدي يمتد من ساحل غرينلدة الشمالي الى الساحل الشمالي من  
 اميركا في مسافة طولها اكثر من ٢٢٠٠ كيلومتر . ووجد ايضا آثار الاسان  
 القديم الذي استوطن تلك الاقطار الى حد الدرجة ٨٢ من العرض وكشف  
 ايضا في تلك النقطة مجيئًا من نجم الحجر من الرمن الثالث الجيولوجي

وبما كانت اكلترا واميركا تحاولان دخول القطب من مصيق سميت  
 كانت المانيا تحاول كشف طريق مستقيمة بين غرينلدة وستسرع جهة وتدير  
 البحري المشهور بيترمان وكان ينزما بثبت القول بوجود بحر سائل في  
 نفس القطب فارسل سنة ١٨٦٨ السفينة المسماة جرمايا لكشف هذا السر .  
 واعتصرها الجليد وسد طريقها باقرب وقتا من ذي قبل حتى لم تبلغ ساحل  
 غرينلدة . فعادت الى بواحي ستسرع واخذت تقاربر عملية كثيرة النائدة .  
 ثم رجعت ولم تقم بشيء مما حُصت بالدهاب لاجله

واما ينزما فلم يقع هذه الرحلة وطن انه بال قصب المسق في تحقيق  
 قوله فجهز على نفقة لرحلة اخرى سميتين بحاريتين متينتين جدا وكان من  
 حملة الراحلين جماعة من اشهر العلماء . والفائد كولدرى من احدق روساء  
 البحر ومضوا الى الساحل الشرقي من غرينلدة لتسهيل الاستفراء . وكانت كل



الظروف موافقة لانعام هذا العمل العظيم

فلما بلغوا الدرجة ٧٤ من العرض انفصلت احدى السنتين عن الاخرى  
بشارة مهمت سوء فهم والواحدة منها صدمتها قطع الجليد وحطمتها فبحاركا بها على  
الجليد وساء لهم القدر بحيث زوارقهم فوصلوا الى بلاد ماهولة جنوبي عريبلدة  
واما السفينة الاخرى وهي المعول عليها فمكنت قرب ارض الملك ولهم وهي القسم  
الشمالي الشرقي من عريبلدة . (وهي عبر حريرة الملك ولهم الواقعة في الدرجة  
٦٩ من العرض الشمالي بين ارض فنكوريا وحريرة نوتيا)

وفي الحريف استقروا بعض اماكن قبل دخول الليل القطبي . وكان  
الشتاء لاجل التوفيق غير شديد عليهم . وكانوا قد تقدموا في العجلات الى  
الدرجة ٧٧ ولولا سداد الراد لتقدموا اكثر وكانت المونة معهم لسنة واحدة  
اخرها الصيف القادم عليهم . فرجعوا سوائد كثيرة عن مسافة طويلة من  
تلك السواحل وتقريرات لذيذة عن الجليد في عريبلدة واما المحاجر الجليدي  
الشمالي فبحجروا عن خرقه بطير من تقدمهم

واما هولندية والدانرك فكان قصارى ههما القيام بصلحتها فقط في الاسفار  
البحرية ومع ان مسالة القطنة الشمالية اخذت مكانا في افكارها فقد تركا  
العناية في حلها للامم الاخرى . فلما حصل النجاح في الرحلات السابقة احدثتها  
العبرة للسعي في معرفة الشمال الاقصى مشاكلة لغيرها . فبعد سنة ١٨٧٨ كانتا  
تسيران كل سنة لجنة تأتي بهوائد حمة

وسلكت روح ايضا هذا المسلك فكان يتيسر لها النجاح بسهولة في هذه  
المسألة لزيادة قربها الى الشمال . فاهتمت الحكومة بتعليم بحريتها العلوم الجغرافية  
ورغبهم في الاقدام على المخاطر الشمالية وهم بالطبع متعودون خوض البحار  
الجليدية لصيد عجول البحر واخيتان حتى اهتم بدخول اصعب المسالك لتحصيل  
شيء قليل ولا يبالغون ببرد ولا مشقة لصلاته ابدانهم . ولذلك كانت اعمالهم  
اجل فائدة ما سواها في العلوم الجغرافية . ولتنشيط الحكومة اياهم تراه دائما

ياتون بفوائد جديدة من اعد السواحل واقصى البحار الشمالية . وهم الذين  
 اكتشفوا شبه جزيرة سنسبرغ وقرروا امكانية الطواف حول رملة الجديدة  
 وهم الذين فتحوا الطريق لدخول بحر كارا هذا فضلاً عن اكتشافات اخرى .  
 واسوج ايضاً لم تقصر في اعمالها فانها هي التي كشفت الممر الشمالي الشرقي كما سيأتي  
 فاذا تتبعنا الرحلات التي تكدها الناس لاكتشاف القطبة الشمالية لا نرى  
 ان مؤائدها وارت الحسائر الحسيسة التي وقعت على الامم بين مال ورجال ومن  
 ٢٠٠ رحلة معروفة لاستجلاء غوامض القطبة لم يقدر احد ان يبلغ اوسطها بل  
 كان حدهم تلك المظنة الجملدية المكددة بها . فان ربي مثلاًفات الدرجة ٨٢  
 بدقائق قليلة كما مرّ وقد بقي للوصول الى العاية المطلوبة ٦٠٠ كيلومتر  
 ولم يرالوا يجدون في السعي الى الآن . ولا سيما بعد ان قرّروا ويرخت  
 وجوب اقامة مرصد قطبية مولعة من جميع الدول . فلم يأملوا للمناهل اولاً حتى  
 حددت هذا الراي الولايات المتحدة ونجحت في مسعاها . وعقدت مؤتمرات  
 دولية فارتأوا اقامة احد عشر مرصداً في الاقطار القطبية ارسلت اليها لحس  
 من روسيا واسوج وروح والدائر واليسا وهولدة والولايات المتحدة وانكندرا  
 والمابيا منها عشر لحس في الاقطار الشمالية وواحدة في الجنوبية . ثم دخلت  
 فرنسا في هذا المسعى وارسلت لجنة تقيم في البلاد المسماة ارض النار  
 ولا بد ان الاساس يصل الى درجة من سمو الادراك وعلو الهمة ونحصيل  
 الصعب في الاحيال القادمة لا تخاطر سال الاحيال الخاصة . والرهان ان  
 المصاعب التي ذلها والاختار التي افتمتها والاسرار التي استخلاها والمشاكل  
 التي حلها والمجاهل التي استقراها في هذا العصر فقط اكبر دلائل على القوة  
 العظمى التي اودعها في يورب الفوات

## الفصل الثالث

### المعبر الشمالي العربي والمعبر الشمالي الشرقي

كان السبب في التفتيش على مريدريك حول برايمر كما من جهة الشمال العربي ان سياح القرن الخامس عشر كانوا يعتقدون ان البلاد التي اكتشفها كولمبس معترضة في طريق الهند . فطامع كاوت البديقي الذي كان مقيماً في انكلترا وتبع البرتغال بعد تأكدها انها تحسر الارياح الناتجة لها من اسفار فاسكوداعاما حركت الهمة لهذا المسعى . وبقي الامر عامصاً الى رهن رحلات دافيس سنة ١٥٨٥ و ١٥٨٦ و ١٥٨٧ وحينئذ عرفت احوال البلاد الجديدة التي دخلها اهل الاستقراء . وكان هدسون في رحلته الاربع التي اتمها سنة ١٦٠٩ اسد اجتهاداً من سلف لاكتشاف الطريق المذكورة . وكان دافيس مصاحباً له بصفة ديدان فحقق ان المسلك المطلوب بعيد الى جهة الشمال فتقدم الى الاقطار الشمالية واكتشف مصيق لكستر وكان قصده الوصول الى اليابان فلم يتيسر له

وبعد ثلاثين سنة انشأت انكلترا شركة كبيرة في جون هدسون سعي رجل فريسوي اسمه دي غروزيلي ارسله لويس الرابع عشر فكان من جملة اعمالها السعي في ايجاد المعبر الشمالي العربي فعرف بعد نحو سبعين سنة ان اهتمامها كان في توسيع تجارتها بالهراء واما لم تنهم بوجود طريق نودي الى الماسيبيك فقصدت انكلترا التعويض عن هذا الاهمال فارسلت ميدلتون لوجود هذا المسلك فلم ينجح وكان مدعياً انه يعرفه

فلما اجلس المجلس العالمي الى واسطة اخرى وعين مبلغ ٥٠٠٠٠٠ فرنك جراء  
 لاول ملاح ينقطع جون هيدسون وبرجع ماراً سوغاز بيرين فاخذ روساء  
 البحرية المشهورون يحاولون ذلك . مثل مور وسميث وكوك وهرن وماك كنزي  
 فعادوا خائبين . ولما كان اول العصر الحالي حالت الحروب الاوروبية دون  
 الاسفار الى جهات النقطه غير ان سكورسي عزم ان يكون وسيلة الافتخار  
 لبلاده فالحج لارجاع الشركات المتوقفة في سنة ١٨١٨ رحلت لجنات الى  
 الاقطار الشمالية من قبل انكلترا احدها تحت امره جون روس والنايب باري  
 فحدث في كشف المعبر الشمالي العربي . والاخرى تحت امره نونان والنايب  
 جون فريكلين كانت تسعى في وعود المعبر الشمالي الشرقي . فعادتا بلا نتيجة  
 فتفكر باري من حيث وعود في سبعين سنة ١٨١٩ وتقدم الى جزيرة مليل  
 عند الدرجة ١١ من الطول العربي ثم رحل رحلتين متتابعتين فعرف بهما  
 عدة مضائق في الارخيل الشمالي واما المعبر المطلوب فلم يجد

ولما علمت انكلترا ان نجاحها بجزراً لا يتيسر عدلت الى السعي في البر فسمت  
 ١٨٢٠ كتفت جون فريكلين ان يسير في عجالات على ساحل اميركا . فكانت  
 هذه السباحة شديدة المشقات وعرف بها فريكلين مسافة ١١٠٠ كيلومتر من  
 الساحل وبعد تلك سيرة عاد الى تلك السواحل بجزراً وكان مائة باك يفحص  
 انحاءها . ثم ان دير وسمسون وراي وولس وهوبر اتوا الطواف حول كل  
 الساحل الشمالي من اميركا سنة ١٨٥٠

وكان جون روس في اتناء ذلك يحاول تجديد رحلة لكي يتوز بالمبلغ  
 المذكور وحتى لا يكون هذا الفصل للباري وحده وهو حيثئذ يسعى باحتداد  
 عظيم . فلم تسمع الدائرة البحرية اروس ، مطلوبه فهبت المحفة في راس تاجر  
 غني اسمه فيلكس بوث فحجز اروس سفينة فسادف في الربيع سنة ١٨٢٩ وغاب  
 اربع سنوات وكان لم يبارح قطراً من الاقطار المظنون وعود المعبر فيها الا بعد  
 ان يدقق الفحص فيه . وفي تلك الاثناء اكتشف البلاد المسماة ارض الملك ولیم

(ملك انكلترا) واكتشف ايضاً مصيق يبل واخر سماه باسمه وعدة اصفاغ من الساحل كانت قبلة مجهولة تم اكتشاف شبه جزيرة بوتييا الكبيرة فجعل اسمها منسوباً الى بوث الذي امدّه ماله . وفي تلك الارض فوق الدرجة ٧٠ من العرض الشمالي قليل وقرب الدرجة ١١٠ من الطول العربي اكتشف النقطة المعنطسية اي المكان الذي فيه نبعه الامة المعنطسية انجماها عمودياً تاماً

وكان بارو قد اودع في الافكار وجود مصيق بين الجزائر والصحور التي تحيط بالساحل الشمالي من اميركا غير ان طول الطريق جعل الحاذقين في سلك البحر يقولون بوحود مسلك اخر اقصر مسافة فجعل بوغار لكسبر نقطة الارتحال للمساعي فيما يلي . فالامادات التي اخدها فريكلين في رحلته الاخيرة حملته على التوجه جنوباً بعد اجنبار مصيق بارو . وكان يعرف تلك السواحل معرفة جيدة وساعدته فطنته على صحة المسح الذي يجب ان يهتج ورحم انه يجد المطلوب في جهة الجنوب وبعد عماء شديد ومشتقات لا توصف اتصل الى كشف معبر طالما تمناه هو ومن قبله وكان قد تقدم في سبيله الى بوغار فكتوريا . ولم يقدر ان يصل الى راس بارو المودّي راساً الى بوغاز بيرين لكنه تعزى قبل موته بكونه وصل بحده بين اكتشافاته واكتشافات ماك وديز وسيسون برّاً وكان مشاركا لهم في هذه ايضا قال بعضهم " ان فريكلين ورفاقه صنعوا مادات حياتهم او بطريقة موتهم آخر حلقة من سلسلة الاكتشافات حول برّ اميركا " لكن بسبب موت فريكلين بقي اكتشافه ذلك المعبر مجهولاً الى سنة ١٨٥٩ حين كشفه ماك كلتيوك كما مرّ آنفاً

وكانت ماك كلور قبل هذا العهد تسع سنوات (اي سنة ١٨٥٠) قد رحل مع كوسون الطواف حول برّ اميركا مارين بوغار بيرين . وفي الشتاء انفصل ماك كلور عن رفيقه وتقدم سفينته الى جهة الشمال الشرقي يطلب في ذلك الساحل مسلكاً في الجليد القطبي . فاحتاز نهر ماك كنزي ووصل امام ارض بنك فحاول الطواف حولها من جهة الساحل العربي فاعترضه الجليد

فعاد الى سته من الساحل الشرقي واصطر ان يميل الى جهة اليمين فاكتشف  
ارضاً سماها البرنس ألبرت وانت انه احترق مضيقاً فاصلاً بين هذه الارض  
وارض سلك وهو يسير الى جهة الشمال الشرقي . فتنشط بهذا الناح وعزم على  
التقدم بزيادة مسعة الجليد فاقام فصل الشتاء واخذ يسير في العمالات ويدقق  
البحث في المراكز الى ان تحقق انه وصل الى خليج مليل الذي دخله ناري  
سرعة في رحلته الاولى فكان فرحة فائق الوصف لحله مشكلاً طالما اتعب  
المناس العظام غير انه كان يحول كعبه ان اول من احثار هذا السبل  
وربكين الى ان طهر الامر بعد خمس سنوات . وهكذا تقرر انه يوجد معبر  
واكثر ايضاً من جهة الشمالي العربي يطاف بواسطته حول ر اميركا لكن  
لا يستطيع السمن ان يختار تلك المعابر الدوام الجليد

واما مسألة المعبر الشمالي الشرقي فلم يلتفتوا اليها اولاً لاشتغالهم بالاولى .  
وكان النور مندبون الذين اكتسحوا اورما وانصلوا بسواحل اميركا قبل ان  
اكتشفها كولمبس خمس سنين لم يتجاوزوا في اختارهم شمالاً البحر الايصوص . فاول  
رحلة كانت عابتها الجهة الشمالية رحلة ويلوغي وتحتبه رتشردت سنلور وكان  
الذي حث عليها سنة ١٥٥٢ الديديان المشهور الانكليزي كاوت وذلك  
لكشف طريق من الشمال الشرقي الى بحر الهند وقد طمو انهم يصلون اليه  
باخذ الاحتمياطات اللازمة لتقطع تلك البحار الشمالية الكثيرة الاخطار غير ان  
مساعيتهم حطت فهلك منهم جماعة تحت رئاسة ويلوغي من شدة الجوع والبرد  
بين جبال الجليد واما الداقون فانصلوا بالبحر الى سواحل روسيا حيث  
اسسوا مدينة اركيجل . وانصل شنسلور بخذقه وحسن تدبيره الى بلاط القيصر  
الروسي ايها الرابع واستعطفه حتى منحه امتيازاً تجارياً وارسل معه ودا الى  
انكلترا فدهمهم بوء شديد عند سكونلندة كسر السمن وغرق شنسلور ومن  
ذلك العهد جرت المواصلات التجارية بين روسيا وانكلترا

وسنة ١٥٥٦ و ١٥٦٠ و ١٥٨٠ ارسلت انكلترا عدة لجن فاعترضها الجليد

حتى لم تدخل بحر كارافصعف عزم الانكليز وقل اهتمامهم بهذا الشأن . لكن على عهد الملك جاك الثاني أرسل وود سنة ١٦٧٦ في سفينتين احدها مشحونة بضائع للتجارة في الصين واليابان فوصل الى زملة الجديدة وانكسرت السفينة التي كان فيها قطع الحديد . فيئست انكثرا من ثم من امكانية احتياز البحار الشمالية الى جهة الشرق الى ان قام كوك المشهور برحلته العظيمة وحاول فض هذا المشكل فسافر من بلهوث سنة ١٧٧٦ وبلغ بوغار بيرين سنة ١٧٧٨ بعد ان نجول بخاح في اقطار الناسيبيك ( راجع رحلته في كتاب ملخص السباحات الكبرى )

وكان الهولنديون يجهدون جداً في وجود معبر من الشمال الشرقي الى الناسيبيك فسنة ١٥٩٤ خرجت اربع سفن تحت امرة الاميرال كورنيليس كورنيلسون وديدبايه الاول بارتس فصى كل منها في جهة وحصل بعض نتائج حسنة فكورنيلسون وصل الى حريرة فيقتش وقطع بوغاز كارا وراى امامه بحراً فسيحاً غير متجمد فعاد على الفور بشرائه وحد المعبر الشمالي الشرقي واما بارتس فبلغ سواحل زملة الجديدة واستفراها الى راس ناصو وكادت كل قطع الحديد المنكسر في الشمال تاتي من هناك فحاول احتراقها عشرين مرة فخاب ثم انضم الى كورنيلسون وعاد معه الى هولنده

ففي السنة التالية ارسلت سبع سفن لما ظهر من تباشير الجحاج ومعها بضائع رسم الصين وكان بارتس ايضاً الديديان الاول فعادت السفن خائبة لان الفصل لم يوافئها فصعف عزم هولنده ووعدت بجائزة سبية لمن يجد المعبر الشمالي الشرقي الى الصين

ف سنة ١٥٩٦ ارسلت سفينتان وكان بارتس الديديان في هذه الرحلة فتبيل انهم اجناروا الدرجة ٨٠ في ندمهم تمالاً ليحنازوا زملة الجديدة . والحق انهم بلغوا ارخبيل سبتسبرغ في فصل رأوا فيه من الحيوان المسمى رنى قطعاً كثيراً عديدة نسرحت في سهول تلك الجرائر . واخيراً دهمهم الشتاء ورجعوا ومات بارتس في

الطريق . وقد نجت من هذه الرحلة نتائج عظيمة جغرافية . وبردت الهمّة بعد ذلك من جهة هولندية

وكانت روسيا حينئذٍ على عهد ايفان الرابع تنفد في الجهات الشمالية مكنسة سواحل سيبيريا . ولما استولت على كينسكا في القرن السابع عشر ارادت استقراء سواحلها الشمالية وبعد مدة قصيرة تقدم يرين لخدمتها وطاف حول السواحل الشرقية من سيبيريا ومات بعد ان سى باسمه الجزيرة والبحر والمصيق التي اكتشفها فصار ساحل اسيا الشمالي الشرقي معروفاً تقريباً بمد سة ١٧٢٠ الآما بين كوليما وهرليما من ساحل سيبيريا واماماً وراء ذلك الدهر فتى مجهولاً الى حد حرية فيعتش الآن بعض التجار كانوا حدرًا من مشفات الاسفار يتقدمون على خط مستقيم الى ان يبلعوا خليج اوبي بواسطة قوارب صغيرة يستخدمونها ايضاً مكان البعالات على البر والحديد

وحينئذٍ عزمّت المملكة حة الروسية ان ترسل لجنة لاستقراء كل سواطيء الاوقيانوس المتحد الشمالي . فجهزت لها تجهيزاً عظيماً حتى اقامت اللجنة في البحث عشر سنوات وعادت بفوائد حمة لم تعرف الا في اواسط هذا القرن وبيما كانوا يستقرون سواحل بلاد السويدية اكتشفوا شبه جزيرة تيمور المزدوجة وحاولوا تكراراً الوصول الى ياكوتسك نهر ييسى . وبلغ واحد من اكثرهم اقداًما الطرف الاقصى من ذلك البر السيبيري فسماه بما معناه الراس الشمالي واما الجغرافيون المتأخرون فسموه باسمه اي تشيليو سكين اكراماً لذكره وسنة ١٧٢٦ تمت معرفة كل سواحل اسيا براً وفي مجهولاً منها بحراً قسم كبير من شبه جزيرة تيمور . وسنة ١٧٦٨ اكتشف روسيو سلوف بوعاز مار متى فكان نقطة مهمة للاسفار . وسنة ١٧٧٠ رأى احد التجار السيبيريين واسمهُ ليكوف كثيراً من الرنى آتية من الشمال فاراد ان يعرف من اي ارض قادمة فضى يقفو الابح حتى بلغ على مسافة قصيرة مجموع حزر سميت باسمه ووصل ايضاً الى حل عظيم من هياكل الحيوان المسى «مموث» وهو من اكبر الحيوانات



المفرصة فصاروا يتخذون العاج من تلك العظام وتوفر مخ روسيا من هذه التجارة ومن سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١٢ استقرى هودسنرسم الرومي مجموع جزر لياكوف المسمى ايضاً سيبيريا الجديدة . ثم فحص رنجل دابخو شواطئ لنا الى الدرجة ١١٥ من الطول الشرقي واستمر رنجل في محصه اربع سوات اتت في انائها وعود بر شالي سي باسه . وهكذا استطاع هو وهودسنرسم وكلت ان يبرهنوا عن مدور وجود الجليد تما لي جرر لياكوف الى ارض رنجل

ومن سنة ١٨٢١ الى ١٨٢٤ قام لوتكي برحلة علمية في بحر روميلة الجديدة وسنة ١٨٢٧ جدد المباحث هناك العالم باير الروسي عبر انه لم يتجاوز حد الجليد فعاد وقرر ان يحركارا مستودع اعظم لكل جليد القطبة وان الاحق هو الذي يحاول فتح طريق في خلاله . فسكن الناس عن المخارة المذكورة مدة ثلاثين سنة عبر ان جمعية الجغرافية الروسية كانت تعقد هذا المشروع بتسييرها من يكتشف الآثار الطبيعية الارضية والجوية في انحاء سيبيريا . وسنة ١٨٤٢ استقرى ميدنرف بعد عماء شديد الجون والبحيرة والمهر التي في شة جزيرة تيمور وكانت المسألة تزداد جلاء بزيادة الرحلات وبدل الهم حتى راي تاجر روسي اسمه سيدورون سنة ١٨٤٥ اروما لارسال سفينتين فلم يتجاوزا شة جزيرة سمويده . وكان الصيادون النرويجيون ياتون كل سنة يحركارا فعلم من تقاريرهم ان هذا البحر لا يبقى متجمداً وان فيه معابر الى جهة الشمال .

وسنة ١٨٧٢ دخلت نروج سفينتين مسوية فيها قائدان حيران وهما ناير ووبرحت قاصدان دخول البحر القطبي السائل والتمتس على المعبر الشمالي الشرقي فوق زملة الجديدة فاسر الجليد السفينة هناك وتراكت قطعه وتماسكت جداً حتى لم يوتر فيها منشار ولا اقوى منه واستمر في عذاب شديد عدة شهور وفي ٣٠ نيسان سنة ١٨٧٢ راوا برأ وكانوا عند الدرجة ٧٩ والدقيقة ٤٣ من العرض الشمالي والدرجة ٥٩ والدقيقة ٢٢ من الطول الشرقي لكن منعهم الجليد عن بلوغ هذا البر فسموه ارض فريسوا جوزف ثم تشق الجليد في فصل

الخريف وانحلّ عن السفينة لكن بقيت تحت الخطر من صدمات قطعها واسرع  
الركاب الى البرّ المذكور ثم تيسر لهم الرجوع قبل فصل الشتاء. وعرف ان السفينة  
بلغت الدرجة ٧٩ والدقيقة ٥٨ بمنازة مضيق كثير الجرائر سمي مصيق اوستريا  
ورحلوا رحلة اخرى بالعوا بها ارض زنجي وصعدوا قمة هيمولات التي ارتفاعها ١٦٠  
متراً واشرفوا منها على انحاء الاوقيانوس المتحد محاولين وجود مسلك يخلصون  
به من اسرهم فلم يجدوا فتركوا السفينة ومصوا في العجالات وكثيراً ما كانوا يغرقون  
في الثلج الى الركبة ويشند عطشهم من شدة التعب حتى كانوا يستنوفون الثلج  
ونفا شهرين لم يتقدموا اكثر من اربعة كيلومترات واستمروا في هذا العذاب  
نحو ثلاثة اشهر الى ان وصلوا الى ساحل زميله الجديدة \*

وكانت اكثر الدول عارضة حادثة سبية لمن يكتشف المعبّر الشمالي الشرقي  
ومضت عدة سنوات بدون نتيجة . وكانت نروح ترسل الصيادين الى الاقطار  
الجليدية وتبالغ في البحث وكذلك اسوج كانت لانالو جهداً في الاستفراء  
وكان منها رجل اسمه بوردنسكيولد قصي عشرين سنة وهو يهتم بهذه المسألة  
ورحل خمس رحلات من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٧٢ واقع الحكومة ان تلامر البحث  
في فصل الشتاء ايضاً بتواصل العمل . واستنخ من تثيرات صيادي نروح ان  
المعبّر من البحر الابيض الى نهر ليبا ممكن في العمل وان استحال في الفكر  
فعمم على رحلة اخرى وساعده تاجر آخر اسوجي . جهز له سفينة على نفقته  
ورحل سنة ١٨٧٥ الى ان دخل بحر كارا فوجد قسماً كبيراً منه غير متجمد  
وكان الماء عدناً وعرف انه آت من سيول وانهار عطية ساحلية فسار في ذلك  
الماء الى الدرجة ٧٥ والدقيقة ٣٠ فظهر له اخيراً ان انحلال الجليد هناك ناتج  
عن انصباب مياه نهريّ بيبسي ولوي الحارة في شهر آب وقد اكتشف وصلاً عن  
ذلك عدة انواع من الاتجار في اعلى اقطار سيبيريا عند الدرجة ٧٠ وكانت  
الاراضي خصبة جداً عند الدرجة ٦٤ والاعابات بصرة والمروج والمناشي كثيرة  
وهذا ما حمل الناس على اشد العجب

ثم رجع هذا الرجل العظيم وقد كشف في بصعة اساييع ما لم يكشف قبله  
 بدهور وفتح طريقاً من اعظم الطرق للتجارة . واجتاز بحر كارا الى مصب نهر  
 ببسي . وهكذا كشف ذلك المعبر الذي قصت فيه الدول سنين كثيرة ولم  
 تكشفه . وذلك انه سافر في فصل موافق يكون فيه الجليد ذائناً في بحر كارا  
 فتكون الطريق مفتوحة . وكان من قلة لايراعون هذا السر اللطيف

ثم عزم على رحلة اخرى يطوف بها حول آسيا كلها خارجاً من بروج ومارا  
 بالاوقيانوس التمد وارجعاً من رزخ السويس فامده صديق له اسمه  
 دكسون مال كبير وساعده ايضاً بعض الملوك حتى كانت الدخيرة كافية لعدة  
 سنين . فخرج في تموز سنة ١٨٧٨ وبلغ راس مارمى ومن بحيرة فيغتش  
 وهناك لست مدة يدق المبحث في ما لم تحقق معرفته منتظراً دخول الشهر  
 الموافق لقطع بحر كارا . وقد عرف ان الذين سقوه لم يكونوا ينتظرون الى  
 واسط ايلول خوفاً من تعرقهم بقطع الجليد مع ان الوقت المناسب او احر ذلك  
 الشهر . وعطف في طريقه تنالاً لعله يبلغ النطقة غير ان جبال الجليد معته كما  
 منعت غيره فعاد حوثاً وسار مفاراً للساحل السبيري ليستفري ويدقق  
 وكشف عدة جزر وضبط مواقع الاقطار الى غير ذلك

غير انه تعوق بالاستقراء واسرع دخول الفصل الثارد فقص عشرة  
 اشهر منتظراً حلول الوقت المناسب للوصول الى بوعار بيرين . فلما كان  
 ثامن عشر تموز سنة ١٨٧٩ سار في طريقه وبلغ اليابان في ايلول ولم يفد من  
 رجاله احد ووصل الى بلاده بامان وقد دار حول اسيا واوروبا معاً  
 وهكذا كشف المعلم بوردنسكيولد الاسوجي المعبر الشمالي الشرقي من اوربا  
 الى الصين والهند سوعاز بيرين باجنياز البحار الشمالية في شهر ايلول . وبهذه  
 الوساطة حصلت الاتصالات التجارية العظي بين اسيا واوروبا واقطار سيبيريا  
 الشمالية بسهولة لا تندر لها قيمة . وكانت فائدها العظمى لروسيا

## خاتمة

— ❦ —

## في طبيعة القطبتين

اما النقطه الشماليه ولكثرة السياحات فيها وتكرار الاستقراءات الجغرافيه والطبيعيه قد استعاد العلماء عن احوالها فوائد اخباريه جليله الشأن يطول شرحها لكن ما يحجب الالفتات اليه هنا ثلاث قضايا مهمه الاولى طول مدة الليل هناك وما يظهر فيه من المظاهر الثابته الشفق الشمالي النالته كثرة وجود الحيوانات في داخل النقطه . هذا مع قطع النظر عن مجاري القطع الجليديه العظيمة وما يتأتى عنها من مصاعب التجول

فالشمس هناك تخفي عدة اشهر تحت الافق والذي يمر عليه فصل الشتاء اول مرة لا يملك نفسه ان يرتعد ويحنق قلبه رعباً من احوال الطبيعة الظلاميه حتى ان الحيوانات تظهر عليها امارات الرعب .

ويختلف طول الليل باختلاف الدرجات بمعد درجه ٨٠ تكون مدة الظلام ٢٧ يوماً لكن يظهر في السماء بعض اوار خفيه محضرة وقد تسطع حتى تكسف الحرّة ولا يملك الظلام الا بوقوع التلوج وتكاثف الصباب . وفي مدة ذلك الليل تطف حاسنا السبع والنظر فتظهر للعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس الكاذبه والاقمار الكاذبة ولا سيما الشفق الشمالي العظيم الذي يعظم ويتكاثر كلما هت ربح الجنوب وقد عرف ان سبب هذه المناظر تكسر الدور البعيد في قطع الثلج السابجه في الفضاء وانعكاسه عنها . واما المسموعات فتزيد قوتها فاذا سقط حجر مثلاً بخرج لوقعه صوت كصوت المدفع

وإذا تكلم الانسان يسمع صوته الى مسافة كيلومتر وبفهم كلامه  
ولذلك يكون اعظم فرح للانسان هناك قرب وقت طلوع الشمس  
تظهر اوارها أولاً شيئاً بعاظماً بالتدرج ويظهر القمر أولاً ضعيف البور ثم يجرى  
ثم يعلى ويسطح نوره حتى يرى الانسان على مسافة كيلومتر . وبعد خمسين  
يوماً من اول تباشير الشفق تظهر الشمس بهاها وتكثر أكثر من أربعة اشهر  
على الافق فتكون لظهورها اعياد عامة في الاقطار الشمالية ويصرمون برباناً  
عطية في ٢٤ حزيران الذي هو اطول ايام الصيف عدهم

وفي اعد نقطة شمالية انصل اليها الانسان وحدث آثار الحياة النباتية  
والحيوانية بكثرة حتى ان الثلج تعيش فيه ملايين ورويات من حيوانات صغيرة  
ومكرسكوية وصفورية حتى اذا داس الانسان شقة تظهر على اثر قدمه  
اتمة ماهرة متلائمة . وكثيراً ما شاهد الدين بلعوا الدرجة ٨٢ و ٨٣ قطعاً من  
الحجوبات ثاني من جهة الجنوب ودخل داخل المنطقة الجليدية وشاهدوا ايضاً  
اسراراً لا تحصى من الطير في افاضي الافق فاستدلوا على وجود بحر سائل وحر  
حي في وسط القطبة . غير ان مسألة البحر السائل لم تثبت على ثقة

واما القطبة الجوية فلم يستعملوا باستقراؤها أولاً لان الجليد هناك أكثر بكثير  
ما في القطبة الشمالية بحيث لا يكون وقت يتيسر فيه تحللها والعمران اعد عنها  
كثير ما عن الشمالية والأتار الجوية ضعيفة ايضاً بالنسبة الى ما في الشمال . ومع  
ذلك فقد ارسلت لجن مخصوصة تقيم في الجرائر القريبة لرصد طواهر الطبيعة  
وما يتعلق باحوال الاقطار الجوية وجرافية القطبة على قدر الامكان . ولا

بد ان ياتوا في ائد دون الحصول عليها نذل النفوس والاموال  
هكذا اتم الله الانسان بقوة داخلية ان يتغلب مخاطر الدنيا ويحتمل

تدقيق عن احوال هذا الوطن العالي لكي يرداد

تجيداً قدرته ونسباً لجلاله

وحكمته









